بداية يوم القيامة

أرض المَحشَر - الحوض
الشفاعة العظمى

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدّم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم   الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور   الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة

ماهر أحمد الصوفي

بداية يوم القيامة

المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
جنان الخلد
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
النار أهوالها وعذابها
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
بداية يوم القيامة
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
الميزان - الصحف - الصراط - أنواع الشفاعات
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
الحساب والعرض على الله سبحانه جل جلاله
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
البعث والنشور
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
الحشر وقيام الساعة
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
الموت وعالم البرزخ
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
أشراط الساعة العلامات الكبرى
المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي
أشراط الساعة العلامات الصغرى والوسطى
المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

بداية يوم القيامة

أرض المحشر - الحوض
الشفاعة العظمى

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

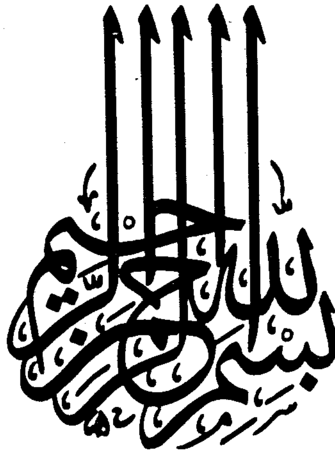
• المطبعة العصرية
بوليڤار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-334-9


بسم الله الرحمن الرحيم

قدَّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة

أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

[سورة النبأ، الآيات: ٣٨ ـ ٤٠]

ويقول تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا * وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١ ـ ١١]

ويقول تعالى:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[سورة المطففين، الآيات: ٤ ـ ٦]

حديث شريف:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم»**. قيل: يا رسول اللَّه، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: **«إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»**.

[رواه الترمذي رقم الحديث ٣٠٤٢]

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل...** يقول سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض، أم الذي يكتحل به ـ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه»**.

[رواه مسلم برقم ٢٨٦٤]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«سبعة يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة اللَّه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في اللَّه، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللَّه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللَّه خالياً ففاضت عيناه».

[متفق عليه]

الإهـــداء

وهبت عملي. . . .

إلى اللَّه تعالى. . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾.

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ. . .

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا. . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي ... وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.



ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللّه بها عليه، فأسأل اللّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الجزء من الموسوعة هو أول البداية ليوم القيامة بعد أن انتهت العوالم الأرضية بعد ظهور علامات الساعة الصغرى والوسطى والكبرى وبعد أن انتهى عالم البرزخ وكذلك قيام الساعة. . . حيث تتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزت الخلائق للّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

نعم برزوا للّه الواحد القهار على أرض المحشر التي أعدَّها اللّه سبحانه ليوم القيامة على طوله والذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، هذه الأرض التي ليس فيها علم لأحد حيث انتهت جميع مظاهر الاستخلاف من ولاية وإمارة وسيادة ووجاهة ومال.

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩٤]

فكل أتى ربه يوم القيامة فرداً وعبداً فقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا.

يقول تعالى:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾.

[سورة مريم، الآيتان: ٩٣، ٩٤]

وأرض المحشر أرض مستوية بيضاء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد، لا يعلم مقدار حجمها إلا اللَّه سبحانه، جهزها وأعدَّها لأن تكون أرضاً تسع وتجمع جميع خلق اللَّه سبحانه على اختلاف أنواعهم من ملائكة وإنس وجن ووحش وطير. . فإذا كانت أرض المحشر لا يعلم سعتها وحجمها إلا اللَّه سبحانه فكذلك خلق اللَّه سبحانه الذين سيجتمعون عليها لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه: ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ فسبحان اللَّه القادر المقتدر العليم الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السماوات ولا في الأرض وهو الخبير العليم.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

وليس هذا فحسب فكل هذه الخلائق بأعدادها الهائلة يعلم اللَّه سبحانه عنهم كل شيء وبمنتهى الدقة والتفصيل فقد أحصاه اللَّه سبحانه لهم جميعاً.

يقول تعالى:

﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

[سورة المجادلة، الآية: ٦]

إن كل فرد من هذه الخلائق سيتيقن يوم القيامة وساعة العرض على اللَّه سبحانه بأنه لا تخفى عليه خافية من أحد بل ينبئهم بما كانت توسوس به أنفسهم يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٦]

.. إن بداية يوم القيامة لشيء عظيم، فقد رحلت الدنيا وما شاهدناه فيها وما علمناه عنها فكل شيء يوم القيامة يختلف عن الحياة الدنيا بكل المعايير والنواميس الكونية والخلقية.. لقد مضى زمن امتحان البشر على الأرض وجاء دور الحساب والجزاء.

إن أهوال يوم القيامة تظهر للخلائق ومنذ لحظاته الأولى حيث تدنو شمس أعدَّها اللَّه سبحانه لأرض المحشر من رؤوس الخلائق فتغلي أدمغتهم ويعرقون حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ينال فيه الكافرون والمشركون والعصاة من الأهوال ما لا تتحمله الأجساد والنفوس، ولكن اللَّه سبحانه قضى أنه لا موت ولا خروج للأرواح من أجسادها فهي باقية معهم إلى أبد الآبدين.

.. وفي هذا الجزء تظهر عظمة ومكانة سيد الخلائق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ إذ يأذن اللَّه سبحانه على يديه بالشفاعة العظمى بعد يوم عظيم طويل يمتد إلى خمسين ألف سنة تنال فيه الخلائق من الأهوال والشدائد ما لا يحتمل إلا من رحم اللَّه من المؤمنين...

ومع فقرات هذا الجزء من الموسوعة نرحل إلى عالم يوم القيامة وأرض الحشر والشفاعة العظمى حيث نبيِّن فيه الأحداث جميعاً وبمنتهى الدقة والتفصيل ليكون الاستعداد لهذا اليوم كبيراً وبكثير من العمل الذي يرضي اللَّه سبحانه.

الفصل الأول

مـدخـل

- هل أرض الدنيا هي أرض المحشر يوم القيامة؟
- صفة أرض المحشر واتساعها .
- صفات أهل المحشر وأجناسهم .
- كيف يحشر الناس يوم القيامة على أرض المحشر؟
- حشر الخلائق على أرض المحشر دون نقصان أحد من الخلق .
- بداية يوم القيامة وبداية أحداثه وأهواله .
- هل يوم القيامة خمسون ألف سنة كما جاء في الآية الكريمة وحديث رسول الله ﷺ؟؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

قدَّمنا في الجزء الخامس من موسوعة الآخرة (البعث والنشور) كيف أن الأرض تمد ثم يخرج الناس من قبورهم من جرَّاء نفخة البعث الثانية.

يقول تعالى:

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

وقد بيّن اللَّه سبحانه كيف يخرج الناس من أجداثهم في أكثر من آية كريمة وقدَّمنا في الجزء الخامس أكثرها... ولا بد من إعادة بعض الآيات الكريمة، لأنه لا بد منها لما لها من علاقة وطيدة في عنوان هذا الجزء من موسوعة الآخرة (بداية يوم القيامة، أرض المحشر، الحوض، الشفاعة العظمى) حيث إن هناك اختلافاً أو خلافاً حول بعض الأحداث... وخاصة حول الأرض التي يتم عليها حشر الناس يوم القيامة (أرض المحشر) التي يحشر الناس عليها ويعرضون على اللَّه سبحانه للحساب.

يقول تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ٥١، ٥٢]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ .

[سورة ق، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ .

[سورة القمر، الآيات: ٦ ـ ٨]

ويقول تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ٤٢ ـ ٤٤]

هذه الآيات الكريمة جميعاً تشير إلى كيفية الخروج من القبور (الأجداث) بأمر اللَّه سبحانه، لكنها جميعاً لا تشير إلى أن أرض الدنيا هي الأرض التي يحشر الناس عليها ويتم عليها الحساب، ففي الآية الأولى يقول تعالى: ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ .

[سورة يس، الآية: ٥١]

وفي الآية الثانية يقول الحق تعالى:

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٤]

وفي الآية الثالثة يقول الحق تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

وفي الآية الرابعة يقول الحق تعالى:

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٧]

وفي الآية الخامسة يقول الحق تعالى:

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤٣]

كل هذه الآيات تشير إلى نشور الناس وبعثهم من قبورهم وتحمل ذات المعنى ولكن بتعبيرات مختلفة، وصفاً لحالة الناس عند النشر والحشر. ولكن كلها تصب في معنى أن الناس في قبورهم إذا ما دعاهم اللَّه سبحانه عن طريق إسرافيل بنفخة البعث الثانية، يخرجون سراعاً بعد أن تشقق عنهم الأرض، فينسلون من قبورهم بيسر وسهولة لأن هذا الحشر يسير على اللَّه سبحانه خالقهم وخالق الأرض، وكل من خلق اللَّه فإنه واقع تحت أمر اللَّه سبحانه حياتهم ومماتهم وبعثهم ونشرهم فيلبون سريعاً لا حول لهم ولا قوة فالقوة للَّه والحول للَّه تعالى.

... فإذا خرجوا ووقفوا على هذه الأرض (أرض الدنيا) وهم بالمليارات يكاد أن لا يجد الإنسان لنفسه موطئ قدم، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة إلا من رحم اللَّه سبحانه.

هل أرض الدنيا هي أرض المحشر يوم القيامة؟؟

هل هذه هي الأرض التي يحشر عليها الإنس والجن والوحش وكذلك تحشر عليها الملائكة؟ وكيف تسع هذه الأرض لكل هذه الخلائق، وأعظمهم وأكثرهم عدداً الملائكة والذين لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه، يقول تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

وكذلك بيّن رسول اللَّه ﷺ أن أعداد جنود اللَّه سبحانه من الملائكة لا يعلمها إلا اللَّه سبحانه حيث تمتلئ بهم السموات السبع.

ـ عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع إلا وملك واضع جبهته ساجداً للَّه»(١).

فهل تسع هذه الأرض الأولين والآخرين من هذه الخلائق؟؟

هنا يكمن السؤال وفي ذات الوقت نحتاج إلى جواب.. هل أرضنا هي أرض المحشر؟ أم أنّ هناك أرضاً أخرى قد جهزها اللَّه سبحانه كي يحشر عليها الخلائق يوم القيامة، ومن دون استثناء لأحد،

(١) رواه الترمذي في سننه ورقم الحديث (٢٣١٨) وقال: حديث حسن.

لا من ملك ولا إنس ولا جن ولا وحش ولا طير، سيدهم وخادمهم، فقيرهم وغنيهم، زعيمهم وعبدهم.

بادئ ذي بدء علينا أن نستعرض الآيات القرآنية من سورة الانشقاق ثم نعمد إلى التحليل والتفسير ورأي أهل العلم من الصحابة والتابعين.

يقول تعالى:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ١ ـ ٥]

هذه الآيات الخمس من سورة الانشقاق تحكي لنا حال قيام الساعة وانشقاق السماء وانصياعها لأمر اللّه، وكذلك تحكي لنا حالة الأرض وكيف أنها ستمد مَدًّا عظيماً بعد اندكاك جبالها وتصييرها إلى سراب وعهن منفوش وكذلك بعد تسجير البحار. ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾. ثم تحويلها بعد ذهاب مائها إلى أرض يابسة تمد مع باقي الأرض في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ ثم بعد المدِّ تُلقي الأرض ما في داخلها من الأموات. ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾.

أي ألقت بهم من باطنها إلى ظاهرها بسرعة فائقة بعد تشققها، فإذا أصبح الخلق على ظهرها دخلت الأرواح في أجسادهم ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾. ذلك من نفخة البعث في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

... في هذا الترتيب الإلهي يحشر الناس على أرض الدنيا ليس لأحدهم إلا موقع قدمه، ولا يرى إلا الرؤوس والتي تعد بآلاف المليارات من الخلائق، إنسهم وجنهم ووحشهم كلهم ينتظرون أمر

اللَّه سبحانه شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة، ينتظرون ما يكون من أمرهم وما سيؤول عليهم حالهم.

فهل هذه أرض المحشر؟ أي هل أرض الدنيا هي أرض المحشر بعد أن مد اللَّه فيها مداً لا نعلم مقداره ولا يعلمه إلا اللَّه سبحانه وتعالى؟ لنقرأ رأي بعض العلماء من السلف الصالح لنكون على بيِّنة من أمرنا، فمنهم من قال: إن أرض الدنيا بعد أن تُمدَّ وتتسع اتساعاً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾. فتكون هي أرض المحشر، فعلى قولهم: إن التغيير الذي سيحدث إنما يكون في صفات الأرض لا في ذاتها.. أي إن الأرض تتغير في صفاتها حيث تدك جبالها وتسوّى وديانها وتذهب بحارها وأنهارها ثم تمد مداً، وفي هذا تغيير لصفات الأرض ولكن ذات الأرض باقية وهي عندهم أرض المحشر..

ومن ذهب إلى أن التغيير يقع في صفات الأرض لا في ذاتها فسندهم ما أخرجه الحاكم عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق**»[(١)].

ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تمد الأرض مد الأديم ثم لا يكون لابن آدم إلا موضع قدميه**»[(٢)].

... وقال الزهري معلّقاً على هذا الحديث.. هذا يقع لأرض الدنيا ولكن أرض الموقف غيرها.

وقال في الفتح: إن أرض الدنيا تضمحل وتعدم وإن أرض

(١) رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد.
(٢) رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد.

الموقف تتجدد إشارة منه إلى أن أرض المحشر هي أرض غير أرض الدنيا.

. . . والخلاف إن وقع إنما وقع في تفسير قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾.

وأخرج في هذا الخصوص عبد بن حُميد والطبري في تفاسيرهم والبيهقي في شعب الإيمان. . عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾.

قال: تبدل الأرض أرضاً كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة، أي إن أرض المحشر غيرُها.

. . . ونقل في تفسير الألوسي عن بعض العلماء أن الأرض تبدل أولاً صفتها ثم تبدل ذاتها (أي تبدل غيرها) وتبدل الذات سيكون بعد أن تحدّث الأرض أخبارها، أي بعد أن تزلزل وتدك جبالها ويحشر الناس عليها وبعد أن يخرجوا من قبورهم. . .

هذه بعض الآراء، لكن عموم الرأي من العلماء والفقهاء أن أرض الدنيا ليست هي أرض المحشر فأرض المحشر غيرها. والقول الفصل بعون اللَّه تعالى في هذا الأمر:

. . . إن أرض المحشر هي أرض غير أرض الدنيا.

. . . فقد انتهى دور أرض الدنيا بعد أن يفجر اللَّه بحارها وأنهارها ويدك جبالها ويمدها مداً كبيراً ليحشر الناس بعد نفخة البعث فيجمعهم جميعاً إنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم، فيلاقون ما يلاقون من العذاب والذل، فإذا ما اكتمل الحشر. . وعلم اللَّه سبحانه بعلمه الأزلي أن الخلائق كلَّهم مجموعون دون نقصان لأحد منهم، نقلهم بقدرته إلى أرض المحشر التي يتم الحساب عليها يوم القيامة الذي يمتد إلى خمسين

ألف سنة. وأما دليل أن أرض المحشر غير أرض الدنيا التي يحشر الناس عليها بعد خروجهم من القبور قوله تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

فهذه الآية الكريمة هي ليوم القيامة باتفاق جميع المفسرين والعلماء، فمعنى قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾؛ أي تصعد الملائكة والروح إشارة إلى أنّ الخلائق جميعاً التي لها أرواح وأجساد ستحاسب يوم القيامة...

ومعنى العروج: الصعود.

يقول تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٤]

فالخلائق بعد حشرها على الأرض بصفة مؤقتة، يأتيها الأمر الإلٰهي في قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

وهذه الآية الكريمة هي الدليل الصحيح على أن الخلائق بعد أن يُحشروا على الأرض يزجرون زجرة واحدة، فينتقلون بقدرته إلى أرض المحشر، فاستخدم اللّه سبحانه كلمة: (زجرة واحدة).

وعندما أخرج اللّه سبحانه عباده من باطن الأرض لم يستعمل مثل هذا الأسلوب ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾، وإنما كانت

الآيات التي قدّمت لها بغير هذا الأسلوب، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

فترى في هذه الآيات أسلوباً مختلفاً تماماً عن الآيتين الكريمتين..

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾.

فالآيات الأولى هي آيات حشر الناس على أرض الدنيا والآيتان الكريمتان الأخيرتان هما لحشر الخلائق على أرض المحشر والتي يبدأ عليها حساب الخلائق... فالزجرة هي أمر اللّه سبحانه الذي إذا قال للشيء كن فيكون لقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

صفة أرض المحشر واتّساعها

أرض المحشر أرض مختلفة عن أرض الدنيا ليس كما عهدنا أن تكون الأرض، فلقد عهدنا أن الأرض التي نعيش عليها قد ميّزها اللَّه سبحانه وتعالى لنعيش عليها فجعل فيها جبالاً ووديانا وأنهاراً وتلالاً، ووفر لنا فيها جمالاً، وأنبت اللَّه سبحانه لنا فيها الأشجار والأزهار والخضار، وأوجد لنا فيها الماء الفرات العذب والطعام، وكذلك أوجد لنا كل المعادن لنستخدمها في حياتنا الدنيا كالحديد والفولاذ والذهب والفضة وغيرها.

يقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

ويقول تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢٥]

والآيات في هذا الخصوص كثيرة جداً.. . ولكن إذا جاء وعد

الآخرة وعرج اللَّه بنا إلى أرض المحشر، تغيّر الحال والمآل وكل ما كنا نجده في الدنيا لا نجده مطلقاً في أرض المحشر ولا واحدة من تلك النعم التي أنعم اللَّه علينا بها في الدنيا... لقد انقضت دنيا الامتحان والابتلاء والبلاء والحرية في العمل.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۞ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ٧، ٨]

فكل هذه الزينة التي هي أدوات الامتحان في الدنيا ليست موجودة في أرض المحشر لا في أرض الحساب ولا حين العرض على اللَّه سبحانه وتعالى، فلم يعد هناك لهذه الأدوات الامتحانية سبب ولزوم، فما هي هذه الأرض، وما صفتها، وما اتساعها؟

خير جواب عن هذا السؤال حديث رسول اللَّه ﷺ الذي يصف هذه الأرض (أرض المحشر) التي يجتمع فيها الأولون والآخرون من جميع الخلائق ملائكةً وإنساً وجناً وحيواناً وطيراً ولقد سمَّاها اللَّه سبحانه بالساهرة.

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

ساهرة: لسعة إطرافها وتباعد أكنافها وشدة مخاوفها، وكذلك فإن من يحل بها إنما يحل ساهراً لا ينام ولا يسهو ولا يغمض له جفن لشدة الفزع والهول والخوف إلا من أمَّنه اللَّه من فزع يومئذٍ.

ـ عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس

فيها علم لأحد» ، وفي رواية : « **ليس فيها معلم لأحد»** . رواه الشيخان .

معاني الكلمات :

عفراء = بيضاء ليس بناصع ، وقال عياض : العفر بياض إلى الحمرة قليلاً ، وقالوا : معنى عفراء خالصة البياض (فتح الباري) **كقرصة النقي** = كالرغيف المصنوع من الدقيق النقي الخالي من الغش ، **ليس فيها معلم لأحد** أي ليس فيها علامة لأحد الخلائق من ارتفاع أو صخرة أو شجرة لا لملك ، أو سيد ، أو أمير أو مقرب ، أو نبي مرسل .

. . . فلماذا صفة أرض المحشر هكذا بيضاء عفراء لا علم فيها لأحد . . . في أرض الدنيا كنا نستخرج منها الحديد والفولاذ والنحاس ونستخدمه كأدوات في حياتنا الدنيا . . . أما اليوم فأرض المحشر بيضاء ملساء ناعمة صلبة لا يستطيع أحد من البشر ثقبها أو حفرها فلا هو يستطيع فعل ذلك ولا الأرض تستجيب له . . كل شيء بأمر اللَّه . . . الأرض في الدنيا كانت مطيعة للمؤمن ومطيعة للكافر بأمر اللَّه . . . ولو أن اللَّه سبحانه أمر الأرض في الدنيا أن لا تستجيب للإنسان لفعلت ، ولكن الامتحان الذي أوجبه اللَّه على الخلق في الدنيا كان من لزومه استجابة الأرض له ليتمَّ ما أراد اللَّه سبحانه . . .

وأما اليوم في أرض المحشر فلم يعد هناك من هذا شيء . . . والأرض البيضاء الملساء في حر الشمس ولهيبها تؤلم الإنسان وتزعجه وتضايقه أيما ضيق ، وإذا كانت بيضاء على حمرة تكون أشد إزعاجاً وألماً .

وفي فتح الباري : « **قال عبد بن حميد عن طريق الحكم بن أبان عن عكرمة : بلغنا أن هذه الأرض يعني أرض الدنيا تطوى ، وإلى جنبها أخرى يحشر الناس إليها ، وفي حديث الصور الطويل : (تبدل الأرض غير الأرض والسموات) . فيبسطها ويمدها مدّ الأديم العكاظي ، لا ترى فيها**

عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر اللَّه الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل مواضعهم في الأولى »(١).

وفي فتح الباري أيضاً . . يقول: وقد جاءت نصوص كثيرة عن عدد من الصحابة تفيد معنى الحديث: « **يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد** » الذي رواه الشيخان . . فقد أخرج عبد بن حميد والطبري في تفاسيرهم والبيهقي في شعب الإيمان عن طريق عمر بن ميمون عن عبد اللَّه بن مسعود في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ .

قال: تبدل الأرض أرضاً كأنها الفضة لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة، ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف وأخرجه البيهقي من وجه آخر مرفوع، وقال: الموقوف أصح(٢)، وكذلك أخرج الطبري والحاكم من طريق عصام بن زر بن حبيش عن ابن مسعود بلفظ: « **أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة** »، وقال: رجاله مُوَثَّوقون(٣).

فهذه الأحاديث والروايات الصحيحة كلها تؤكد معاني بعضها، وتؤكد جميعها أن أرض المحشر هي أرض صلبة بيضاء ملساء كسبيك فضة، والفضة معروفة بنعومة ملمسها وصلابة معدنها ولا تذوب الفضة إلا بالصهر بدرجة عالية جداً من النار، وأما عن اتساع أرض المحشر . . . فإنها تفوق الخيال والتصور البشري وما ذلك على اللَّه بعزيز . . . يمدها مداً عظيماً ليس بشكل كروي فإن قانون الآخرة يختلف عن قانون الدنيا فالنجوم والكواكب فيها شبه كروية تسبح في

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

السماء وتدور حول نفسها وتدور حول شموسها وكل في فلك يسبحون، أما في الآخرة فتلك الأرض التي ستحشر عليها الخلائق ستكون مستوية بمد عظيم قد تكون حجمها حجم آلاف الشموس إذا اجتمعت.

... ونحن نرى في السماء نجوماً كثيرة، يقول علماء الفلك: إن معظمها أكبر من شمسنا والتي تبلغ حجم الأرض (١,٣٠٠) مليون وثلاثمائة ألف مرة، وقد أوردت في جزء قيام الساعة وأهوالها أن تلسكوبات فلكية في جنوب فرنسا اكتشفت شمساً في إحدى المجرات القريبة، قدروا حجمها حجم شمسنا بـ٢٥ مليون مرة، فاللَّه القادر على خلق شمس واحدة من بليارات الشموس التي في السماء يزيد حجمها عن حجم شمسنا ٢٥ مليون مرة لقادر أن يجعل الأرض (أرض المحشر) تزيد عن حجم شمسنا ملايين وملايين المرات كي تسع كل هذه الخلائق وفي توقيت واحد.

صفات أهل المحشر وأجناسهم

من هم أهل المحشر..؟ هم الإنس والجن والملائكة... ويحشر معهم الوحش والطير.

هل تحشر الملائكة على أرض المحشر؟

نعم تحشر كما تحشر الخلائق.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٣٨]

ويقول تعالى:

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾. [سورة الفجر، الآية: ٢٢]

هل تحشر الوحوش (أي الأنعام والطير والسبع)؟

نعم تحشر كما تحشر الخلائق.

يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيتان: ٤، ٥]

وقال تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٨]

وقال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢٩]

وقال ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى: (وأما البهائم فجميعها يحشرها اللّه سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنّة).

هل تحشر الجن؟

نعم تحشر كما تحشر الخلائق.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٨]

ويقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]

وفي يوم الموقف على أرض المحشر يصرُخ الكافرون طالبين من اللّه سبحانه أن يريهم الجن والإنس اللذيْن كانا سبب ضلالهما ليجعلوهما تحت أقدامهم في أرض المحشر.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

وأما آيات حشر الإنسان فهي كثيرة وهي محط الشاهد ولا خلاف في ذلك.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾.

[سورة الانشقاق، الآية: ٦]

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾.

[سورة القيامة، الآية: ٣٦]

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾.

[سورة عبس، الآيات: ٣٣ ـ ٣٧]

وكثيرة هي الآيات الكريمة في هذا الخصوص... لنترك حشر الخلائق الآن، ولننظر كيف يُحشر البشر وهم الأهم من بين المخلوقات.

كيف يحشر الناس على أرض المحشر؟

خير من يعبّر عن هذه الكيفية التي يحشر عليها الناس في أرض المحشر رسول الله ﷺ.

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**»(١). قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**». قالت عائشة رضي الله عنها: يا

(١) غرلاً: غير مختونين.

(٢) رواه البخاري الفتح ١٤/ ١٧٦ ومسلم برقم ٢١٩٤.

رسول اللَّه فكيف بالعورات؟ فقال ﷺ: «**لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**»(١).

يعني أن كل واحد منهم مشغول بأحواله وما يراه من الأهوال عن التطلع والنظر إلى غيره.

عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهم قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «**إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده، وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم الخليل**»(٢).

هذه الأحاديث الشريفة تصف وصفاً دقيقاً ما يكون عليه حال الناس على أرض المحشر. . . حفاة عراة غرلاً، إنها حالة من الذل والصغار، إنه نوع من عذاب النفس المهين تماماً كما أتت البشرية من بطون أمهاتها حفاة عراة غُرْلاً. . . لا يملكون من أمرهم شيئاً إلا الصراخ والبكاء. . . ولتحقيق العلم فقد ورد عند الشعراني.

في مختصر التذكرة للقرطبي قال: رأيت في كتاب كشف علوم الآخرة للإمام الغزالي أنّه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر في أكفانها وسائر الأمم عراة حفاة**»(٣).

وحاول ابن حجر التعليق على هذا الكلام فقال: يخرج المؤمنون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم. . . ونقول:

(١) رواه النسائي. رقم الحديث (٢٠٩٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

(٣) مختصر التذكرة للشعراني ص٤٥ وهذا الحديث يعارض الأحاديث الصحيحة التي وردت عن الكتب الصحاح للبخاري ومسلم حتى أن صاحب التذكرة قال عن هذا الحديث: لم أقف عليه واللَّه أعلم بصحته. . كذلك أقول: إن هذا الحديث طالما ذكر دون راوٍ فلا يعتد به وإنما ذكرته لتحقيق العلم لا أكثر.

طالما أن الحديث من دون راوٍ فهذا مجرد تعليق على ما ليس له أصل ولا أرى داعياً له والله أعلم. . . وقد سبق وقدّمت في الأجزاء السابقة أن أي كلام ليس له راوٍ صحيح عن رسول الله ﷺ لا يؤخذ به.

المهم أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً دون استثناء لأحد ويتساوى في هذا الأمر جميع الأمم والأقوام أولهم وآخرهم ذكورهم وإناثهم.

. . . حال شديدة صعبة قاسية على النفوس جميعاً. . أجساد تتلاصق ومواقع تكاد الأقدام تأخذ منها مكاناً، وتجتمع الرؤوس حتى يبدو للناظر من فوقهم أنه لا يوجد في أرض الحشر إلا رؤوس الخلائق، ليس بيدهم شيء يفعلون به أي شيء، أجساد عارية وأرض بيضاء ملساء صلبة، الأبصار شاخصة، الأعناق ممتدة، والزعيم كالعبد وأغنى غني في الأرض مَثَله مثل أفقر فقير في الأرض، يتطاولون برؤوس أصابع أقدامهم علّهم يرون شيئاً فلا يرون إلا رؤوساً وشمساً تلفح أجسادهم، ورؤوسهم العارية، الحسرة تعتصر قلوبهم، والألم يمزق نفوسهم، والندم يشتعل في أجسادهم كنار تحرقهم، ولا أحد ينظر إلى أحد كل مشغول بنفسه، حتى لو كان بجواره أعز الناس إليه في الدنيا، فلا أنساب ولا أصحاب ولا أقرباء وأخوة، ولا آباء، ولا أبناء، كلهم غرباء عن بعضهم، كلهم يجادل عن نفسه كلهم يريد النجاة بنفسه ولا يهمه أمر كل من في الموقف العظيم.

يقول تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠١]

ويقول تعالى:

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ * وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾.

[سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٤]

فليس ما يرونه مناماً ولا حلماً ولا كابوساً ولا حالة مؤقتة ولا عذاباً بعده يكشف، ولا امتحاناً، فقد مضى زمن الامتحان، وليس هو بلاء ولا ابتلاء، إنها البداية الأبدية والخلود الأبدي واليوم الذي لا ينتهي ما بعده، إنها الحقيقة التي كذب بها الكافرون والمنافقون، إنه اليوم الذي استخف به العاصون والضَّالون.

لقد ارتكبوا ما حرم اللَّه، إنه اليوم الذي ترى فيه الكاسيات العاريات اللاتي خالفن أمر ربهن عذاباً لا يطاق وموقفاً مهيناً لا يحتمل، هذا اليوم الذي جاء بالمتكاسلين والمستهزئين والمستَهْترين والمستكبرين، هذا اليوم الذي جاء بالظالمين والمرابين والزناة وآكلي لحوم الناس والوالغين في أعراضهم، هذا اليوم الذي جاء بأعوان الظلمة والمرائين والكاذبين والمنافقين.. هذا اليوم الذي جاء بالحق من عالم الحق الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات ولا في أنفسنا ولا في نفوس خلقه جميعاً، ملائكتهم وإنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

[سورة الحاقة، الآية: ١٨]

كيف يحشر الناس
يوم القيامة على أرض المحشر؟

إذا ما انتقلت الخلائق من أرض الدنيا إلى أرض المحشر التي أعدَّها اللَّه سبحانه لحشر الناس عليها، حيث يتم عرضهم على اللَّه سبحانه لحسابهم.. وذلك من زجرة بأمر من اللَّه سبحانه وتعالى.

يقول تعالى:

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

ولقد وصف اللَّه سبحانه لنا هذا الانتقال وكيفية الحشر وطريقته وذلك في كتابه الكريم.

يقول تعالى:

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

في الآيات من سورة (ق) تسلسل. حيث تموت النفس وذلك حق على كل عباد اللَّه تعالى، ثم ينفخ في الصور إيذاناً بقيام الساعة ثم ينفخ فيه مرة أخرى ليقوم الناس من الموت ومن القبور استجابة لرب العالمين ثم يزجر إسرافيل بهم زجرة واحدة بأمر من اللَّه بعد

اكتمال حشرهم على أرض الدنيا فإذا هم جميعاً على أرض المحشر يوم القيامة. وفي الزجرة اختلاف فمنهم من يقول: هي من اللَّه، ومنهم من يقول: هي من إسرافيل بأمر من اللَّه سبحانه.

يقول اللَّه تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي كل نفس يكون معها ملكان من ملائكة اللَّه تعالى واحد مَهَمته أن يسوق هذا الإنسان إلى موقفه من أرض المحشر، وملك آخر يبقى معه شهيداً على عمله في الدنيا.

ولنا وقفة في تفسير ابن كثير وابن جرير والصابوني حول هذه الآية الكريمة.

في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ لنتعرف على حقيقة السائق والشهيد في قول المفسرين الأوائل رحمهم اللَّه تعالى.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

أي وجاء كل إنسان برًّا كان أو فاجراً معه ملكان، أحدهما يسوقه إلى أرض المحشر والآخر يشهد عليه بعمله، وقال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم هي الأيدي والأرجل، وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان ملك يسوقه وملك يشهد عليه.

وقال ابن جرير في تفسيره: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ السائق ملك والشهيد ملك، ملك يسوقه إلى أرض المحشر وملك يشهد على أعماله... وكذلك رأي الشيخ الصابوني.

وأما ابن كثير فيقول: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى اللَّه تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة، وقال أبو هريرة: السائق الملك والشهيد العمل، وكذا

قال الضحاك والسدي وابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه.

... ومن التفاسير نجد أن اتفاقاً بين الجميع أن السائق الذي يسوق الإنسان إلى أرض المحشر ملك يرسله اللَّه سبحانه لكل إنسان فيأخذه إلى موقعه من أرض المحشر.

فكل إنسان له موقع في أرض المحشر... فليس الحشر عشوائياً ولا فوضوياً بل بمنتهى الدقة والتنظيم من إلٰه عليم خبير.

... نعم بمنتهى الدقة والتنظيم رغم هذه الأعداد الهائلة والتي لا يمكن أن يعلم عددها أو يحصيها إلا اللَّه سبحانه وتعالى، فالارتباك والفوضى في حالة ازدحام الناس يكون من الإنسان في الدنيا لأنه لا يملك قدرات تؤهله على التنظيم في حالة كثرة الناس.

ويبقى السؤال إلى أين يأخذني الملك؟ وأين يضعني؟ وإلى أي مكان يتجه بي؟

... هنا تكمن المعجزة الإلٰهية في تنظيم مواقع الناس... فلا يمكن أن يحشر المؤمن وسط جموع الأمم الكافرة، وكذلك لا يمكن للكافر أن يحشر مع المؤمنين أو في وسطهم فأول الدقة والتنظيم... أن كل أمة من الأمم تحشر مع بعضها.

يقول اللَّه تعالى:

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٨]

وكذلك فإن الأمة الواحدة قد تبلغ آلاف الملايين فأين يكون موقع الإنسان من هذه الأمة.. فهل تجمع بشكل جماعي عشوائي أم أن لكل فرد منها مكاناً يجب أن يأخذه؟.. نعم لكل فرد منها

مكان معلوم يجب أن يقف فيه لا يتقدمه ولا يتأخر عنه . . . فالجنة درجات حسب العمل، وجهنم درجات حسب العمل، وأرض الموقف درجات حسب الإيمان والكفر والعمل .

يقول تعالى :

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية : ١٦٣]

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية : ١٣٢]

والحديث عن الدرجات يطول وليس هنا موضعه، ولكن ما قصدت إليه هو أن الوقوف في أرض المحشر استعداداً لبداية يوم القيامة حسب درجات كل منهم، حتى لو كان كافراً ومشركاً فهم درجات بكفرهم وشركهم، فمنهم العُتُل الشديد، ومنهم المنافق، ومنهم الذي يظلم ويقتل ويأمر بالكفر، ومنهم من هو كافر ولكن لم يكن قاتلاً ولم يظلم أحداً، لذلك قال تعالى :

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ .

[سورة مريم، الآيتان : ٦٩، ٧٠]

. . . . وللسائل أن يسأل؟ وما فائدة الموضع طالما أنها كلها أرض المحشر وهي أرض سيقف عليها الخلق جميعاً ليحاسبوا من اللَّه سبحانه؟ . . هذا سؤال صحيح . . ولكن إذا علمنا السبب وأهمية الموقع أدركنا ما معنى السائق والموقع وأهميته العظمى بالنسبة للإنسان الذي يحشر على هذه الأرض للعرض على اللَّه والحساب .

فلنقرأ حديث رسول اللَّه ﷺ ثم نجيب عن التساؤل .

ـ عن المقداد رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**، يقول سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض أم الذي يكتحل به ـ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار بيده إلى فيه**»[1]. إذاً يدني اللّه سبحانه وتعالى شمساً من أرض الموقف (أرض المحشر) كم حجمها وما مقدار حرها؟ اللّه أعلم لتتناسب مع أرض المحشر التي لا يعلم حجمها واتساعها إلا اللّه سبحانه فتكون فوق رؤوس العباد قدر ميل.. في هذه الحالة سيتصبب العرق من الأجساد صباً من حرارة الشمس الهائلة... وهنا يقع الجواب كما يقول رسول اللّه ﷺ: «**فيكون الناس على مقدار أعمالهم**»[2].

أي يكون الناس في مواقعهم على قدر أعمالهم.. وحسب عقائدهم: مسلم ـ مسلم عاص ـ مسلم مستَهْتر ـ كافر ـ مشرك... وفي كل حالة مئات الدرجات من العمل أو المعصية أو الكفر.

... الكرة الأرضية التي نعيش عليها تبعد جميعها عن الشمس ٩٤ مليون كم... فكما يبعد خط الاستواء عن الشمس ٩٤ مليون كم كذلك يبعد القطب الجنوبي والشمالي ٩٤ مليون كم.. ومع ذلك فإن الحرارة عند خط الاستواء ٦٠ درجة فوق الصفر، ودرجة الحرارة عند القطبين الشمالي والجنوبي ٦٠ درجة تحت الصفر، مع أن كلاهما خط الاستواء والقطب الشمالي يبعد عن الشمس نفس المسافة ٩٤ مليون كم.

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم الحديث ٢٨٦٤.

إذاً ما هو السبب في اختلاف درجات الحرارة بهذه الدرجة الكبيرة والبعد عن الشمس واحد. . . نعم إن في الأرض زوايا ميل وأقطاباً وأطرافاً وأوساطاً تزيد في درجة الحرارة أو تنقص منها واللَّه سبحانه من قبل أن يخلق البشر على الأرض يعلم هذا وهو الخالق. . . وكذلك فإن أرض الموقف (أرض المحشر) أرض عظيمة، اللَّه سبحانه أعلم بها وأعلم أين تكون الشمس التي تدنو من رؤوس العباد كما في الحديث قدر ميل ـ ذات حرارة عالية فيكون منها العرق بحيث يلجم الناس، وأين تكون أقل من ذلك فيكون العرق من الإنسان إلى ركبتيه ثم إلى كعبيه. . . لذلك يساق الناس إلى مواضعهم حسب أعمالهم عن طريق الملك الذي يخصصه اللَّه سبحانه لكل إنسان مخلوق.

حشر الخلائق على أرض المحشر دون نقصان أحد من الخلق

وهذه هي المعجزة الإلٰهية العظيمة أن يأتي اللَّه سبحانه بخلقه جميعاً بعد فنائهم وموتهم وتحولهم إلى تراب دون أن ينقص واحد من خلقه.. وفي هذا كمال العدل الإلٰهي ولو نقص واحد منهم لنقص العدل وحاشا للَّه أن ينقص كماله وعدله وحكمته وصدق اللَّه تعالى إذ يقول:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٦٤]

يقول تعالى عن حشر الخلائق يوم القيامة ووعده أن لا ينقص عند الحشر أحد من خلقه لأنه أحصاهم جميعاً وعدَّهم عدًّا... وفي هذا ويل للكافرين والمشركين واطمئنان للمؤمنين الذين علّمهم اللَّه في حياتهم الدنيا أن يدعوا بقوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ٨، ٩]

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٤]

وكيف يخلف اللَّه الميعاد وينسى خلقه أو ينقص أحداً آمن به وعمل صالحاً ودعا ربه أن لا يخزيه يوم القيامة؟ . . . وكيف يخلف اللَّه وعده وينسى الكافر والمشرك فلا يبعثه يوم القيامة لينال جزاء كفره وشركه وظلمه وادعائه أن للرحمن ولداً.

يقول تعالى. . عن حشر الناس يوم القيامة وتوعده الكافرين.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٨٨ ـ ٩٥]

نعم لقد أحصاهم وعدَّهم عدًّا ولم يستثن اللَّه أحداً لا في السموات ولا في الأرض، فكل أتوه صاغرين طائعين ملبين لا يستطيع أن يتخلف أحد عن هذه الدعوة.

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥٢]

عند ذلك يبدأ يوم القيامة الذي يطول فيكون خمسين ألف سنة نجَّانا اللَّه من أهواله ومواقفه، وجعلنا من الذين يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله.

بداية يوم القيامة
وبداية أحداثه وأهواله

. . . وبدأت البداية. . وبدأت رحلة تطول خمسين ألف سنة تحمل من الأهوال والعذاب والمواقف ما لا تتحمله أجساد الخلق وعقولهم ونفوسهم. . .

وكل حدث أو موقف أو هول أو عذاب يميت الإنسان عشرات المرات. . . ولكن لا موت. . . ولا خروج للأرواح من أجسادنا. . لقد جاء الخلود الأبدي بما يحمله من العذاب أو النعيم. . بما يحمله من مهانة أو يحمله من كرامة، بما يحمله من عذاب مهين وبما يحمله من أمان عظيم. . كل قدر عمله. . إنها البداية التي تشيب لها الولدان.

بقوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾.

[سورة المزمل، الآية: ١٧]

إنه يوم القيامة وقد بدأت بدايته بعد أن اكتمل الحشر دون نقصان لأحد من خلق اللّه تعالى، وإن أول ما يكون وبعد أن يأخذ كل مخلوق مكانه من أرض المحشر أن يأتي اللّه بشمس عظيمة قد تبلغ ملايين المرات من شمس الدنيا، فتكون فوق رؤوس العباد على قدر ميل لتجعلهم يعيشون عذاباً لا يحتمل ولا يطاق فتبدأ أجسادهم بالتعرق فيخرج من أجسادهم سيل من العرق له رائحة نتنة لا تقبلها النفوس، فيشعرون منها بآلام نفسية وعذاب نفسي لا يحتمل.

... والشمس بحرارتها ونارها المتأججة تلفح وجوههم وتجعل رؤوسهم وأدمغتهم تغلي كغلي الماء على المرجل، لا يكسو أجسادهم العارية شيء لقوله ﷺ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً»[(١)].

حاسرة رؤوسهم ليس عليها ما يقيهم بعض نار الشمس الملتهبة، لا يستطيعون أن يمسكوا بشيء، فليس ما حولهم شيء يتمسكون به وليس في موضعهم إلا هذه الأرض البيضاء الصلبة الملسة التي تحت أقدامهم.

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. يقول: سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض، أم الذي يُكتحل به ـ **والناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه»**[(٢)].

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال:

«يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه ـ أي عرقه ـ إلى أنصاف أذنيه»[(٣)].

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عزّ وجلّ يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم ورقم الحديث ٢١٩٤.

(٢) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم الحديث ٢٨٦٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٤٨٧١.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يجمع اللَّه الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس منهم»[١].

ـ عن سلمان الفارسي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«تعطى الشمس يوم القيامة حرَّ عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس»[٢].

نتبيَّن من الأحاديث الشريفة الخمسة التي قدَّمنا عن دنو الشمس من رؤوس العباد في أرض المحشر، وهذه الأحاديث تؤكد بعضها بعضاً وأن رواتها رواة الصحيح فلا شك في هذا الأمر أبداً. . . وهذا الأمر من أشق الأمور وأصعبها على الناس في المواقف وهو ملازمهم لا فكاك منه ولا مخرج حتى يأذن اللَّه سبحانه بعد طول يوم عظيم بفصل الحساب. . .

ولهول الأمر أن الناس من شدة عذابهم وآلامهم وما ينالونه من حرارة الشمس والعرق الذي يطوف من حولهم سواء أكان إلى الكعب أم إلى الركبة أم إلى أنصاف الأذن والروائح النتنة الخارجة من العرق.

. . ومهما كان حال أحدهم فإنهم يصرخون جميعاً ويقولون خذونا ولو إلى النار. . ولا أحد يجيبهم. . . ومن يجيبهم؟ وليس من ملك أو رسول يجيبهم لأن الأمر للَّه وحده.

يقول تعالى:

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

[سورة الانفطار، الآية: ١٩]

وكيف يغيثهم اللَّه وقد توعدهم بيوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير بإسناد صحيح.

هل يوم القيامة خمسون ألف سنة كما جاء في الآية الكريمة وحديث رسول اللَّه (ﷺ)؟؟

. . . نعم إن يوم القيامة خمسون ألف سنة من سني الأرض بداية من اللحظة الأولى لاكتمال الحشر على أرض المحشر كما قدَّمنا سابقاً. ويبقى السؤال هل حقيقة أن يوم القيامة خمسون ألف سنة؟ وهل تشمل هذه المدة المؤمن والكافر؟

وهل يمكن لخلق ومهما أوتوا من القوة الجسدية تحمل هذا الزمن الطويل؟

وهل تبقى الشمس التي تدنو من رؤوس الخلائق طوال هذه المدة تسطع فوق رؤوسهم؟

ولهول الأمر والموقف لا بد أن نسهب قليلاً في هذه الفقرة لأن الأمر جلل وهو من أعظم الأمور والأحداث في يوم القيامة.

وللإجابة عن هذه التساؤلات نستعرض آيات اللَّه سبحانه وأحاديث رسول اللَّه ﷺ، فالآيات والأحاديث هي القول الفصل في هذا الأمر، يقول تعالى:

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ١ ـ ٧]

هذا ما قاله تعالى في محكم كتابه. . . ونستعرض رأي المفسرين أولاً ثم نتحدث عن هذا الأمر الجلل.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ : أي هو صادر «العذاب» من اللَّه العظيم الجليل، صاحب المصاعد التي تصعد بها الملائكة، وتنزل بأمره ووحيه، ثم فصل ذلك بقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ، أي تصعد الملائكة الأبرار وجبريل الأمين الذي خصَّه اللَّه بالوحي إلى اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ : أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا. قال ابن عباس: (هو يوم القيامة) جعله اللَّه على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار[(١)] . . .

قال المفسرون: والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة:

﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ، أي أن القيامة مواقف ومواطن وأن هذه المدة الطويلة تخف على المؤمن حتى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة.

ويقول ابن كثير في تفسيره: إن فيها أربعة أقوال، فالأول: أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل سافلين، وهو قرار الأرض السابعة، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة. . . وعن ابن عباس

---

(١) وهذا أيضاً تفسير الطبري ١٨/ ٢٨٢.

أنه قال في تفسير الآية: أي منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات خمسين ألف سنة... والقول الثاني...

أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق اللّه هذا العالم إلى قيام الساعة، قال: الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحدٌ كم مضى؟ ولا كم بقي إلا اللّه؟.. وأما القول الثالث: إنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهذا قول ضعيف.

... وأما القول الرابع وهو الفصل فيقول: إن المراد بذلك يوم القيامة، وبهذا الرأي قال الضحاك وابن زيد وعكرمة.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

قال: هو يوم القيامة جعله اللّه تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة.

ومما يؤيد هذه التفاسير وهذه الأقوال وأن الآيات من سورة المعارج المقصود بها يوم القيامة وطولُه، أحاديثُ رسول اللّه ﷺ في هذا الخصوص.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال:

قال رسول اللّه ﷺ:

«ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل ـ أي الكنز ـ صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجبينه وظهره حتى يحكم اللّه بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ممَّا تعدُّون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[١].

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٩٠٠٦).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول اللَّه فالإبل؟ قال: **«ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها ومن حقها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**.

قيل: يا رسول اللَّه، فالبقر والغنم؟ قال: **«ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها شيئاً، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**[(١)].

إذاً يوم القيامة من بدايته إلى نهايته بطول خمسين ألف سنة كما ثبت في كتاب اللَّه تعالى وسنّة نبيه ﷺ.

فإذا كانت حياتنا الدنيا لا تزيد في المتوسط عن ستين إلى سبعين سنة نعيش فيها ويتوفر لنا المأوى والكساء والأكل والمشرب والعشرات من الأشياء التي فيها الرفاهية والهناء والسعادة والمتعة. . . ومع ذلك نعاني من الدنيا ومن هذه المدة القصيرة ما نعاني من عذاب

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث ٩٨٧.

ومرض وجوع وضيق نفسي، وكل منا يعلم هذا ويعلم ما يصيبه في هذه الحياة، وهذه سنّة اللّه في خلقه.

يقول تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٥]

فكيف هي الحال ولا مقارنة مطلقاً بين الحياة الدنيا ببعض بلائها وهمومها وبين يوم القيامة الذي يطول حتى يكون خمسين ألف سنة، فيه من العذاب والأهوال ما فيه، وفيه الشمس التي تدنو من رؤوس العباد لا تغادرهم أبداً... فأي عذاب هذا؟ ومن هو الذي يحتمل؟... فلولا أن اللّه سبحانه قضى لا موت ولا خروج للأرواح من الأجساد لمات المرء في الموقف خمسين مليون مرة ويزيد، وهذا هو العذاب الحقيقي عذاب بلا موت وشقاء بلا أمل وأهوال بلا انقطاع.

الفصل الثاني

ـ النشأة الأخرى وتغيّر الأجساد في أرض المحشر.

ـ يوم القيامة أحوال بشرية ومراحل زمنية.

ـ مشاهد وآيات من كتاب اللَّه تعالى ليوم الموقف العظيم.

ـ كيف يحشر ويساق المؤمنون والكافرون إلى مواقفهم في أرض المحشر؟

ـ الشمس التي تدنو من رؤوس العباد قدر ميل في أرض المحشر.

ـ أحوال المؤمنين والعصاة والكافرين في هذا اليوم العظيم.

أولاً: أحوال المؤمنين في الموقف.

١ ـ السبعة الذين يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله.

٢ ـ المتحابون في جلال اللَّه تعالى.

٣ ـ من أنظر معسراً.

٤ ـ المتصدقون.

٥ ـ المفرجون عن المكروبين والمكثرون من الصلاة على النبي ﷺ.

٦ ـ واصل الرحم ـ والمرأة تحبس نفسها على تربية أولادها وكافل اليتيم.

٧ ـ المراقب لربه الذي يعلم أن اللَّه معه حيث توجه.

٨ ـ الذين لا يبخسون الحق لهم أو عليهم

٩ ـ أهل الخلق الحسن.

١٠ ـ أهل الوضوء على المكاره والمشي إلى المساجد.

١١ ـ حملة القرآن الكريم.

١٢ ـ المؤذنون.

ـ تعليق وتنبيه.

ثانياً: أحوال العصاة وأهل الكبائر في الموقف:

١ ـ المتكبرون ـ آكلو الربا.

٢ ـ الذين يسألون الناس من غير حاجة.

٣ ـ مانعو الزكاة الذين لا يؤدون حق اللّه في أموالهم وحق الناس عليهم.

٤ ـ الذين يحملون أوزار ظلمهم وغلولهم.

٥ ـ الذين لا يعدلون بين زوجاتهم.

ثالثاً: أحوال الكفار والمشركين والمنافقين في الموقف.

النشأة الأخرى
وتغيّر الأجساد في أرض المحشر

أتصور والعلم عند اللَّه سبحانه أن تغير الأجساد البشرية كائن يوم القيامة على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

وهي عند قيامهم بعد نفخة البعث الثانية حيث يصبح البصر حديداً أي قوياً شديداً يستطيع أن يرى الإنسان ما أُخفي عليه في الحياة الدنيا ـ كرؤية الملائكة والجن وما أخفاه اللَّه سبحانه عنا ممَّا لا نعلم، وقد قدَّمت لهذه المرحلة في فقرة سابقة، ودليلها كما قلت في كتاب اللَّه تعالى.

يقول تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ٢١، ٢٢]

المرحلة الثانية:

وهي عندما يتم نقل الخلائق من أرض الدنيا إلى أرض المحشر وهي الأرض التي أعدَّها اللَّه سبحانه كما قدَّمنا ليوم القيامة، والذي يطول حتى يكون خمسين ألف سنة من سني الدنيا، تدنو الشمس من رؤوس العباد حتى تكون قدر ميل كما ورد في الأحاديث الشريفة.

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل يقول سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض أم الذي يُكتحل به ـ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه »**[١].

فدنو الشمس من رؤوس العباد حتى تكون قدر ميل منهم حقيقة واقعة مروية عن طريق الأحاديث الصحاح، والسؤال. . . كيف تتحمل هذه الأجساد الضعيفة والتي لا يزيد وزنها عن مائة كيلو وطولها عن المترين في المتوسط. . . حرارة الشمس وهي على علو ميل واحد من رؤوسهم. . ألا يذوبون ويصبحون سراباً من نارها وحرها؟

. . . في الحياة الدنيا تبعد الشمس عن الأرض ٩٤ مليون كم ومع ذلك في فصل الصيف ترتفع الحرارة قليلاً فتكاد تهلكنا[٢]. . . فكيف الحال على أرض المحشر؟

. . . في هذه الحالة يتم تغيّر الأجساد مرة أخرى واللَّه أعلم وهي المرحلة الثانية من التغير، لتتناسب مع هذه المرحلة الشديدة من يوم القيامة، والتغيير ثابت في القرآن الكريم.

يقول تعالى:

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٦٠ ـ ٦٢]

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم الحديث ٢٨٦٤.

(٢) في صيف عام ٢٠٠٣م ارتفعت الحرارة في فرنسا إلى ٤٠ درجة مئوية. . . فمات من جراء ذلك حسب آخر إحصاء أوردته وكالات الأنباء (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف نسمة.

وهذه الآية الكريمة: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . . .﴾ مخصوصة ليوم القيامة. . . أي إن اللَّه سبحانه سوف ينشئنا يوم القيامة نشأة جديدة ولكنها بعلم اللَّه، لم يطلعنا اللَّه سبحانه على كيفية هذه النشأة. . ما أعلمنا أنها ستكون نشأة جديدة في يوم القيامة؟

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات الكريمة: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ: أي صرفناه بينكم، وقال الضحاك: ساوى فيه أهل السماء والأرض، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: أي وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: أي نغيّر خلقكم يوم القيامة، ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي من الصفات والأحوال، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي قد علمتم أن اللَّه أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾: أي نحن قدرنا وحكمنا عليكم بالموت وساوينا بينكم، سواء الشريف والوضيع والأمير والصُعلوك، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: أي وما نحن بعاجزين ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾: أي على أن نهلككم ونستبدل قوماً غيركم يكونون أطوع للَّه منكم.

كقوله تعالى:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. وأما قوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي ولسنا بعاجزين أيضاً أن نعيدكم يوم القيامة في خلقة لا تعلمونها ولا تصل إليها عقولكم، والغرض أن اللَّه قادر على أن يهلككم وأن يعيدهم وأن يبعثهم يوم القيامة، ففي الآية تهديد واحتجاج على البعث.

. . . فكل المفسرين أكدوا أن التغيير في الخلق واقع يوم القيامة ولم يخالف مفسر واحد في هذا الأمر . .

ونقول ـ وباللَّه العون ـ: إن البشر وفي حال سوقهم إلى أرض المحشر تتغير أجسادهم فيزيد اللَّه سبحانه وتعالى من طولها وحجمها بما يتناسب مع حال الموقف وحال الشمس ولهيبها وحرارتها وبما أعدّه اللَّه سبحانه لأهل الموقف من المشركين والكافرين والضالين والعصاة من العذاب والآلام.

وهذا التغيير لن يكون التغيير الأخير، بل هو تغيير لهذه المرحلة فقط. . . ولنقرأ حديث رسول اللَّه ﷺ في صحيح البخاري ثم نناقش مسألة التغيّر الجسدي للبشر في هذه المرحلة العظيمة، والتي هي من أشد مراحل يوم القيامة عذاباً وهولاً وفزعاً وخوفاً ورجاء واستغاثة وويلاً وثبوراً وحسرة وندماً وبكاء وعويلاً.

روى البخاري ومسلم. . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»(١).

. . . فالعرق يبلغ في ارتفاعه سبعين ذراعاً أي ما يقرب من ضعف طولنا عشرين مرة. . فيلجم الناس حتى يبلغ آذانهم. . . فهذا يعني أننا سنضخم ويزاد طولنا في يوم الموقف ما يقرب من عشرين مرة من طولنا في حياتنا الدنيا. . . والحديث صحيح رواه البخاري ومسلم وهو متفق عليه.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق رقم الحديث ٦١٦٧.

وهذا يتناسب مع واقع حال الإنسان في أرض المحشر وما نقوله هو استنتاج من حديث رسول اللَّه ﷺ والاستنتاج محله الخطأ ومحله الصواب وقد جاء الاستنتاج من واقع الأحاديث الشريفة الصحيحة التي تؤيد أن الكافر يضخم في النار حتى يكون ضرسه كجبل أُحد وجلده مسيرة ثلاثة أيام، وهذا سيأتي بيانه في الجزء التاسع عندما نتكلم عن النار وأهلها، وأما واقع الحال من حيث دقته وكيفيته فهذا يبقى بعلم عالم الغيب والشهادة. . . ولو يشاء اللَّه سبحانه لضاعف جسد ابن آدم يوم القيامة مئات المرات أو حتى آلاف المرات. فاللَّه سبحانه خلق النملة ولها كامل مواصفات الحياة من بصر وسمع وإحساس وجهاز هضمي وتنفسي، وخلق الفيل الذي يبلغ حجمه حجم النملة ملايين المرات له ذات المواصفات، له سمع وبصر وإحساس وجهاز هضمي وتنفسي، فالذي خلق النملة هو الذي خلق الفيل والذي خلق الإنسان بما لا يزيد عن مترين قادر على أن ينشئه يوم القيامة بذات المواصفات والأحاسيس الدنيوية ويجعله على طول سبعين ذراعاً. . . فجسد ابن آدم خلايا تنمو بأمر اللَّه وتصغر بأمر اللَّه. . وتكبيرها وتصغيرها بأمر اللَّه. . . . فمن أعطى الأمر للخلايا أن تقف عن النمو بعد سن الشباب في الإنسان؟ ومن أعطاها الأمر بالنمو في مراحل الطفولة؟ فهذا الخلق بعلم اللَّه وقدرته.

المرحلة الثالثة: المرحلة الثالثة من التغيير يتم إن شاء اللَّه عند الدخول إلى الجنة أو النار. . . وهذا ما سيتم بيانه عندما نتحدث عن الجنة ونعيمها. . والنار وأهوالها في الجزء التاسع والجزء العاشر من الموسوعة.

يوم القيامة أحوال بشرية ومراحل زمنية

ليس يوم القيامة حالة واحدة ومرحلة واحدة.. إنما تتعدد أحواله ومراحله على طوله الذي يمتد حتى خمسين ألف سنة.

... ولكن أشده بلا شك حالة الوقوف.. وقوف الناس تحت أشعة الشمس وحرها على مدى خمسين ألف سنة.

... فما هي تقسيمات هذا اليوم ومراحله وأحواله؟

المرحلة الأولى:

وهي المرحلة الأولى من يوم القيامة مرحلة الوقوف في أرض المحشر، والشمس التي تدنو من رؤوسهم والعرق الذي يلجمهم، وطريقة حشر الناس، وزمن هذه المرحلة في كتاب اللَّه سبحانه خمسون ألف سنة وكذلك هي في أحاديث رسول اللَّه ﷺ.

يقول تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

ويقول رسول اللَّه ﷺ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها

جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار»[١].

والآيات كثيرة التي تبيِّن حال الناس في هذه المرحلة العصيبة من يوم القيامة.

المرحلة الثانية:

وهي الأهوال والأحداث العظام التي تحدث على طول هذا اليوم الذي يمتد حتى خمسين ألف سنة وهي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يخص الكافرين والمشركين والفاسقين والمنافقين والضَّالين.

القسم الثاني: ما يخص العصاة من أمة محمد ﷺ وأهل الكبائر والذين كانوا لا يؤدون حق اللَّه وفرائضه من صلاة وصيام وحج وزكاة.

القسم الثالث: ما يخص المؤمنين الذين يعملون الصالحات بكل ما تحمل كلمة الصالحات من معنى ـ إقامة الشعائر ـ وإتيان النوافل ـ الجهاد في سبيل اللَّه ـ الشهداء ـ أهل القرآن الكريم، أهل الصدقات الصابرون المحتسبون للَّه ـ العلماء ـ المسبّحون ـ المستغفرون. . . ولقد وصفهم اللَّه سبحانه بكثير من الآيات القرآنية الكريمة نذكر منها:

يقول تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة (٢/ ٦٨٠) رقم الحديث ٩٨٧.

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٧٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤]

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة الشفاعة العظمى التي يأذن اللَّه سبحانه بها بعد انقضاء الخمسين ألف سنة التي ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه وذكرها رسول اللَّه ﷺ، والشفاعة العظمى هي لبدء العرض على اللَّه سبحانه والوقوف بين يديه وحساب الخلائق... ولقد اختص اللَّه سبحانه هذه الشفاعة العظمى لبدء الحساب بسيدنا محمد ﷺ حيث لا تكون إلا على يديه فهو ﷺ حامل لواء الحمد والشفاعة يوم القيامة، حيث تأتي الأقوام في طول هذا اليوم العظيم على جميع الأنبياء من أجل الشفاعة لهم بتعجيل الحساب وتخليصهم من هذا اليوم العظيم الذي ذاقوا منه آلاماً وعذاباً وذلاً وهواناً...

ولكن الأنبياء عليهم السلام ما رأوا أنفسهم أهلاً لهذه الشفاعة العظمى دون رسول اللَّه محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين.

وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً عند الحديث عن الشفاعة العظمى.

المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة العرض على اللَّه سبحانه، والعرض على اللَّه يطول حيث يبدأ بعرض الأمم وسؤالها وموقف الاختصام والشهادة، وشهادة الرسل على أقوامهم وسؤال المرسلين، وشهادة رسولنا ﷺ وسؤال اللَّه سبحانه عن التكاليف الشرعية وعن العلم والعمر والمال.. وكل هذا يأتي بالتفصيل في الجزء السابع من الموسوعة الحساب والعرض على اللَّه سبحانه إن شاء اللَّه تعالى.

المرحلة الخامسة:

وهي عالم الحساب الفردي حيث تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتحاول دفع العذاب عنها، وفي هذه المرحلة يكون الإنسان في أدق مراحل يوم القيامة والقلوب لدى الحناجر، ويعتري الإنسان خوف من مصيره بعد حساب اللَّه سبحانه له وإقراره لجميع أعماله، وبمنتهى الدقة ولو كان مثقال ذرة يأتي بها اللَّه سبحانه عند محاسبته للإنسان، ويتنوع الحساب والسؤال وأحواله حول العبادات وأولها الصلاة.. وحقوق العباد وباقي الفرائض.. وبيان أنواع الحساب حيث منها اليسير الذي ذكره اللَّه سبحانه في كتابه ومنه العسير... وكذلك من لا حساب عليه.. وكل هذا سيأتي في موقعه إن شاء اللَّه بمنتهى الدقة والتفصيل.

المرحلة السادسة:

وهي عالم الميزان والصحف والصراط.

وهي مرحلة وزن أعمال الإنسان بميزان العدل الإلٰهي الذي يزن الذرة من العمل وما دونها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ .

[سورة الزلزلة، الآيات: ٦ ـ ٨]

وكذلك استلام الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وآخذ من خلفه ووجوه ترهقها قترة، ووجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وأخيراً العبور على الصراط... وحديث الصراط يطول وفيه ما فيه من الأهوال والفزع والخوف حيث يمر الناس وهم أصناف كثيرة، فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر بأسرع جواد ومنهم من تخدشه النار ومنهم من يهوي من فوق الصراط في جهنم بعد أن تتخطفه الكلاليب والشوك وكل هذا يأتي بتفصيل دقيق كلاً في بابه.

المرحلة السابعة:

وهي عالم الجنة وما فيها من نعيم اللَّه وهي الدخول إلى الجنة عالم الخلود في مقعد الصدق عند مليك مقتدر، جنات اللَّه الخالدات التي فيها من الجمال والمتعة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والسابقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.. وكلهم في رحمة اللَّه خالدون وارثون، لهم ما يشاؤون فيها وعند اللَّه مزيد.

المرحلة الثامنة:

عالم النار وجهنم.

وهو خلود الكافرين والمشركين والمنافقين في جهنم حيث يلقون فيها عذاباً دائماً لا خروج منه ولا خلاص منه، خالدين فيه أبداً لا يخفف عنهم العذاب، وهم فيه مبلسون، يصرخون، ويبكون ويجأرون ويستغيثون، ولا مجيب لهم، ولا ناصر ولا هم يُنظرون ولا

يفتر عنهم العذاب.. إن عالم جهنم عالم فظيع، آلامه لا نهاية لها وعذابه لا انقطاع له.

وعالم الجنة له جزء خاص في هذه الموسوعة وكذلك عالم جهنم له جزء خاص في هذه الموسوعة.. حيث يطول الحديث فيهما عن نعيم الجنة وعذاب جهنم في هذه الموسوعة... جعلنا اللّٰه سبحانه من أهلها وساكنيها وارديها وأبعدنا عن جهنم والنار وعذابها إنه سميع مجيب.

بذلك قدَّمت تقسيمات لتلك المرحلة التي يكون عليها البشر في يوم القيامة حتى دخول الجنة.. أو الدخول في النار.

وفي كل مرحلة أحداث وتقسيمات كثيرة يأتي كل منها في حينه وموقعه من الموسوعة، إذ لكل مرحلة تفصيلات كثيرة حيث بسطت ما في كل مرحلة من أحداث جسام وأصول بشرية ومواقف متعددة.

مشاهد وآيات من كتاب اللَّه تعالى ليوم الموقف العظيم

في هذه الفقرة اخترت الآيات الكريمة التي تخص يوم الموقف أي من أول الحشر على أرض المحشر حتى يأذن اللَّه سبحانه بعد الشفاعة العظمى لنبيِّنا محمد ﷺ ببدء الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

فهذا اليوم العظيم على طوله على الكفار والمشركين والمنافقين حتى يمتد عليهم إلى خمسين ألف سنة.. كيف تحدث اللَّه سبحانه في آياته عنه.. وكذلك نستعرض أحاديث رسول اللَّه ﷺ في خصوص هذه المدة من أول الحشر إلى أن يأذن اللَّه سبحانه ببدء الحساب.

... نذكر الآيات الكريمة ونقدِّم بين يديها شيئاً من التفسير والتفصيل والبيان بما يعيننا اللَّه سبحانه وتعالى كل منها في مرحلته.

يقول تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ .

[سورة غافر، الآية: ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ * وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠]

ويقول تعالى:

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآيات: ٤ ـ ٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٣٩]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٤١]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآيات: ٣٨ ـ ٤٠]

كيف يحشر ويساق المؤمنون والكافرون إلى مواقعهم في أرض المحشر

قلنا في فقرة سابقة: إن اللّه سبحانه يرسل لكل إنسان ملكين ملك يسوقه إلى أرض المحشر وملك يشهد عليه.

قال تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢١]

ولكن اللّه سبحانه بفضله ورحمته يعز المؤمن الصالح فيحشره إلى موقعه من أرض المحشر عزيزاً راكباً آمناً من الفزع والخوف.. ويحشر الكافرين أذلاء يمشون ولكن ليس على أرجلهم وإنما على وجوههم زيادة في الذل والمهانة والصغار.

وفي سورة الواقعة يبيّن اللّه سبحانه لنا هذا المحشر...

يقول تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۞ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۞ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۞ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۞ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۞ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۞ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١ ـ ١١]

وهذا هو تصنيف الناس يوم القيامة.. والسابقون هم الرسل

والأنبياء والصديقون والشهداء والعلماء وجميع أهل التقوى والصلاح فهؤلاء جميعاً يحشرون يوم القيامة ركباناً.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[١].

[سورة مريم، الآيتان: ٨٦، ٨٧]

وأما الكافرون فزيادة على ذلهم وهوانهم على اللّه سبحانه فإنه لا يحشرهم وهم يمشون، ولكن على وجوههم صماً وبكماً وعمياً...

يقول تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

وقد وضح لنا رسول اللّه ﷺ الأمر في هذا الشأن.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم** » قيل: يا رسول اللّه، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « **إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك** »[٢].

نفهم مما سبق أن الحشر على ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: حشر السابقين وقد قدَّمنا عنهم وأن هؤلاء هم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء والعلماء.. وأهل القرآن وأهل

---

(١) وفداً ـ ركباناً ـ ورداً ـ أي كالدواب التي ترد الماء (عطاشاً).

(٢) رواه الترمذي في سننه ورقم الحديث ٣٠٤٢.

الصلاح والتقوى.. وجميع هؤلاء يحشرون راكبين على ركاب يجهزه اللَّه لهم يوم القيامة.. ولا بد أن يكون ركاباً حسناً وجميلاً وهنيئاً لينظر إليهم أهل الموقف وأهل الجمع ويتساءلوا من هم هؤلاء الذين أكرمهم اللَّه سبحانه هذا الإكرام؟

الطريقة الثانية: حشر المؤمنين من أهل اليمين وهؤلاء يحشرون مشاة ولكن معهم الملائكة ويسيرون برحمة اللَّه أعزاء ليسوا أذلاء لا يحزنهم الفزع والخوف لأنهم في مأمن من هذا حتى يصلوا إلى مواقعهم من أرض المحشر.

الطريقة الثالثة: وهي لعموم الكفار والعصاة وأهل الكبائر، وهو الحشر الذليل المهين الذي فيه عذاب اللَّه الأليم وعذاب اللَّه العظيم وعذاب اللَّه المهين. وهؤلاء يحشرون ليس فقط قد سلبهم اللَّه سمعهم وأبصارهم ونطقهم، إنما يمشون ولكن ليس على أرجلهم إنما على وجوههم زيادة في الذل والمهانة، وأما كيفية المشي فهذا كائن بعلم اللَّه ولكن قدرة اللَّه سبحانه لا يعجزها شيء.. وهذا الثعبان في الدنيا يسير بسرعة كبيرة ولا يدين له ولا قدمين.. ولو أنا لم نر الثعبان في حياتنا الدنيا، وجاء من يخبرنا أنه رأى حيواناً يسير بسرعة كبيرة ولكن ليس له يدان ولا قدمان، ربما كنا لا نصدقه حتى نرى..

المهم أن هؤلاء يذلون ذلاً ما بعده ذل، ويهانون إهانة كبيرة، وهم يسيرون مقلوبين على وجوههم لا يملكون سمعاً ولا بصراً ولا يستطيعون الكلام.. فكم يتجرعون كأس المرارة والعذاب؟ وهؤلاء كثيرون تجدهم أصنافاً كثيرة من الناس، كانوا في الدنيا أصحاب عزّة وجاه وسلطة ونفوذ ومال ومنصب، ولكنهم أشركوا باللَّه وكفروا وعصوا وضلوا وفسقوا.

يقول تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٦]

فإذا ألقى اللّه سبحانه الكافر في جهنم يوم القيامة يقول له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٤٩]

تنبيه: حالة الكفار هؤلاء وهم يمشون على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ليست حالة دائمة أي لا يسلب منهم السمع والبصر والنطق طوال يوم القيامة.. فهم ينتقلون ويتقلبون في يوم القيامة وطوله الذي يصل إلى خمسين ألف سنة، إلى أكثر من حالة فمرة يسمعون ويبصرون.. ومرة لا يسمعون ومرة لا يتكلمون.. حالات يتعرضون لها في طول هذا اليوم العظيم كما يأمر اللّه سبحانه ويريد.

الشمس التي تدنو من رؤوس العباد قدر ميل في أرض المحشر

شمس عظيمة ـ غير شمس الدنيا التي كورت وذهبت ـ هي التي يأمرها اللَّه سبحانه وتعالى لتكون فوق رؤوس العباد في أرض المحشر. . .

فأرض المحشر لا يعلم عظيم اتساعها إلا اللَّه سبحانه، تلك الأرض التي تسع الخلائق جميعاً أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم ووحشهم وطيرهم بالإضافة إلى الملائكة الكرام.

. . . وكذلك فإن الشمس التي تكون فوق رؤوس العباد في تلك الأرض العظيمة لا يعلم حجمها وقوة لهيبها إلا اللَّه سبحانه.

. . . فإذا أخذ الناس مواقعهم المحددة لهم مسبقاً من اللَّه سبحانه بمنتهى الدقة والتنظيم ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى مكانها المحدد في أرض المحشر وشهيد يشهد عليها وعلى أعمالها يوم القيامة. . يأمر اللَّه سبحانه الشمس فتأتي ثم تدنو وتدنو حتى تأخذ موقعها من فوقهم قدر ميل من مسافة الأرض. . . فتتفاعل الشمس وحرارتها ـ والتي تغلي الأدمغة من شدتها ـ مع تلك الأجساد التي قضى اللَّه سبحانه عليها (أنه لا موت)، وهنا يكون العذاب العظيم، والذي مهما قدَّمنا له من تفسير وبيان وشرح وتحليل

فإننا لا نصل إلى حقيقة هذا العذاب الذي ستناله النفوس والأجساد من دنو الشمس فوق رؤوسهم لهذه المسافة القريبة جداً، والإنسان في الدنيا ورغم كل هذه الظلال الوارفة والحياة الهنية إلا أنّه إذا تعرّض لأشعة الشمس التي تبعد عنا (٩٤) مليون كم وليس ميلاً كما في أرض المحشر، فقد تصيبه بدُوار أو ضربة شمس أو حمى فتفقده توازنه فتراه يتَّقيها بيده أو بشيء معه فيهرب منها إلى ظل يظله منها فيقيه أشعتها الشديدة. . .

. . . فماذا تفعل تلك الخلائق بتلك الشمس التي تدنو من رؤوسهم قدر ميل؟. . ولو شاء اللَّه سبحانه لأذابهم ثم أحياهم ثم أذابهم، ولكن اللَّه سبحانه يصرف عذابها وحرَّها إلى أن يخرج من أجساد البشر الواقفين في أرض المحشر عرقاً له رائحة كريهة يتصبب منهم دون انقطاع حسب أعمالهم من كفر أو شرك أو معصية. فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه ومنهم من يصل إلى ركبتيه ومنهم من يصل إلى بطنه ومنهم من يصل إلى أذنيه وفمه فيغطهم العرق غطًّا كالغريق الذي يستنجد من الموت بعد أن غطه الماء فوصل إلى فيه وأذنيه.

يقول رسول اللَّه ﷺ في وصف هذا الموقف الرهيب المزعج المرعب المؤلم الذي يتمنى معه الواقف الموت وبأي وسيلة كانت.

ـ عن المقداد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« **تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**. قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض، أم الذي يُكتحل به؟ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه،**

ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وأشار بيده إلى فيه»[١].

وهكذا يفيض منهم العرق حتى يمضي في الأرض سبعين ذراعاً. عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، وإنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[٢].

ويقال: إنهم في هذه الأحوال ومن شدة آلامهم يتمنون الانصراف ولو إلى النار.

ومما روى ابن جرير الطبري في تفسيره.

قال الأعمش عن خيثمة عن ابن مسعود، قال: « **الأرض كلها يوم القيامة نار، والجنة من ورائها ترى كواعبها، وأكوابها، ويلجم الناس العرق أو يبلغ منهم ولم يبلغوا الحساب»**[٣].

روى الأعمش عن المنهال، عن قيس بن سكن، عن ابن مسعود قال: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ . قال: أرض كالفضة البيضاء، نقية لم يسفك فيها دم، ولم يعمل فيها ذنب، ولم يعمل فيها خطيئة ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة كما خلقوا، أراه قال: حتى يلجمهم العرق[٤].

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في صفة يوم القيامة رقم (٢٨٦٤).

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري كتاب الرقاق باب قوله تعالى: **﴿ألا يظن أولئك﴾** (٨/ ١٣٨).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ١٣/ ٢٥١) وقال المنذري: رواه الطبراني بإسناد جيد.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ٢٤٩).

«يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه ـ أي عرقه ـ إلى أنصاف أذنيه»(١).

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عزّ وجلّ يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال (أي الأقوياء الأشداء) **إلى أنصاف آذانهم»**(٢). وروى ابن المبارك في كتاب الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان الفارسي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين وتدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل»**.

وتؤكد هذه الأحاديث الشريفة جميعها شدة الموقف الذي يأتي من طوله، فهو كما ثبت من الآية الكريمة وأحاديث رسول اللّه ﷺ يمتد إلى خمسين ألف سنة كما تقدّم.

. . . الحقيقة أنني عندما أقرأ وأكتب هذه الأحاديث والنصوص أتوقف قليلاً وأضع القلم جانباً ثم أُحلِّق مع تخيلاتي كيف يكون هذا اليوم، وهذا الموقف؟ كيف يكون اليوم بطول خمسين ألف سنة بذات الحرارة وذات الشمس التي لا تغادرهم ولا ترتفع عن رؤوسهم ولا يفتر عنهم نوعية هذا العذاب وهم يسيحون في عرقهم ذي الرائحة النتنة الكريهة التي تكفي أن تكون وحدها عذاباً لا يطاق؟ . . كيف يكون أهل الموقف والعرق ينضح من أجسادهم نضحاً ويتصبب منهم تصبباً دون انقطاع، حتى يكون من حولهم كبحر من ماء آسن نتن

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٤٨٧١).

يسبحون فيه ليس لهم من شفيع ولا رجاء من خلاص ولا أمل من نجاة ولا يؤذن لهم بالكلام... فكم سيدفع الكفار والمشركون والعصاة ثمن جرائمهم واستكبارهم واستهزائهم وسبهم وشتمهم ومؤامراتهم على دين اللَّه تعالى الإسلام؟.. وكم سيدفع العصاة ثمن استهتارهم بأحكام وفرائض وأوامر اللَّه سبحانه؟ وكم سيدفع الكسالى الذين تكاسلوا عن الصلاة والصيام والحج والزكاة ثمن تكاسلهم؟وكم سيدفع الذين لا يعرفون للتسبيح معنى ولا لذكر اللَّه معنى ولا يعرفون شيئاً اسمه صلاة الفجر؟ وكم سيدفع أولئك الذين وضعوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم فما تلوه وما قرؤوه وما سألوا اللَّه الهداية والرحمة والغفران؟

... وإن سألت هؤلاء الهدى والتقوى أخذتهم العزة بالإثم واستهزؤوا وتمردوا وسعوا في الأرض فساداً واللَّه لا يحب الفساد.

يقول تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٤ ـ ٢٠٥]

نعم.. إنها الطامة، والصَّاخة، والحاقة، والتي ستكون عليهم وبالاً ما بعده وبال، وشراً ما بعده شر، وعذاباً ما بعده عذاب، وخوفاً ما بعده خوف... كل من ذكرت لأنهم ما خافوا اللَّه ولا عذابه الوجيع في حياتهم الدنيا، وإلا كيف تكون حالتهم هكذا وكانوا من الذين يخافون اللَّه سبحانه في دنياهم؟

... فكيف سيعامل اللَّه سبحانه أولئك الذين لم يخافوه ورفضوا ما أمر به بل استهزؤوا وسخروا وضحكوا ولعبوا وغرتهم الأماني؟

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ يروي عن ربه جلَّ وعلا قال: «**وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**»[(١)].

وكيف يكون أولئك الذين أعرضوا عن ذكر اللَّه وما يشتمل عليه من صلاة وصيام وزكاة وحج وصدقات وبر؟

يقول تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾.

[سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦]

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم الحديث ٦٤٠.

أحوال المؤمنين والعصاة والكافرين في هذا اليوم العظيم

قال تعالى:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[سورة المطففين، الآيات: ٤ ـ ٦]

هذا هو القيام الطويل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تدنو منهم الشمس، وهم حفاة عراة غرل حتى تكون قدر ميل من فوق رؤوس الخلائق ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فالله سبحانه قال: ﴿يَقُومُ﴾ أي إن الخلائق في حالة قيام ووقوف حتى يأذن الله لفصل القضاء والحساب بشفاعة محمد ﷺ.

وقبل أن ندخل في تفصيل أحوال المؤمنين والعصاة والكافرين في هذا الموقف العظيم نستعرض أقوال العلماء واجتماع الرأي حول الناس وموقفهم في هذا الموقف العظيم.

يقول العلماء:

وظاهر بعض الأحاديث يعم جميع أهل الموقف.. ولكن هناك أحاديث أخرى تدل أن العرق وأهوال الموقف تعم الكفار جميعاً وتعم المذنبين على قدر ذنوبهم... وأما الأنبياء فهم في أمان من جميع ذلك وكذلك أتباعهم من الشهداء والصديقين والصالحين وأهل الخير كما تقدّم.

ذلك أن اللّه سبحانه يقول في محكم كتابه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٨٢]

وقال المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة: وأراد أن موقفهم في أرض المحشر وموقفهم للحساب هو في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا(١) .

(١) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها للشيخ الفاضل عبد اللّه سراج الدين رحمه اللّه تعالى.

أولاً

أحوال المؤمنين في هذا الموقف

هذا الموقف الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة، للناس فيه مراتب ومواقف فهم على درجات كبيرة ومتفاوتة.. فالمؤمنون الصادقون على درجات والعصاة من أمة محمد ﷺ على درجات والكفار على درجات وإن جمعتهم ملة الكفر الواحدة.. فهذا اليوم على طوله لا بد أن يكون الناس على درجات متفاوتة، وذلك من عدل اللَّه سبحانه، العدل المطلق والذي لا تظلم عنده نفس شيئاً وفي كل مواقف يوم القيامة على اختلافها وتنوعها وتعدد مواقفها وأشكالها، فحشر الناس على أرض الموقف (أرض المحشر) يوم القيامة وامتداده الطويل يختلف عن الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للعرض عليه، وكذلك يختلف عندما يبدأ اللَّه سبحانه فصل الحساب، وكذلك عند استلام الصحف والميزان والصراط ـ فكل موقف له حالة.. فالمؤمنون في أحوال متعددة من هذه المواقف والكفار في أحوال متعددة من هذه المواقف.

... لذلك فإن الحديث الآن عن الموقف في أرض المحشر والذي يبدأ من حشر الناس على أرض المحشر وينتهي ببداية فصل القضاء والعرض على اللَّه سبحانه... فما سنذكره ليس له علاقة فيما بعده ولا فيما قبله.

... فما أحوال المؤمنين في هذا الموقف؟؟

المؤمنون في هذا الموقف مراتب متعددة ودرجات متفاوتة، فمنهم على منابر من نور في ظل عرش الرحمن وهم الأنبياء

والسابقون والمتحابون في اللَّه، ومنهم من يكون في ظل العرش من أعمالهم الصالحة وأفعالهم المحمودة، وأجلها أهل الصدقات.

وقد بيّن رسول اللَّه ﷺ صفات المؤمنين الذين يكونون في ظل عرش الرحمن حيث يقف الناس في أرض المحشر تدنو الشمس من رؤوسهم قدر ميل فيغطون في العرق حتى يصل إلى بعضهم إلى أذنيه وفمه ويغطه العرق غطاً.

١ ـ السبعة الذين يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«سبعة يظلهم اللَّه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة اللَّه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في اللَّه، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللَّه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر اللَّه خالياً ففاضت عيناه»[(١)].

٢ ـ المتحابون في جلال اللَّه تعالى:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»[(٢)].

٣ ـ من أنظر معسراً:

عن أبي اليسر كعب بن عمرو رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله اللَّه في ظله»**[(٣)].

---

(١) متفق عليه الفتح ٤/ ٣٥ ومسلم ٧١٥.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ١٩٨٨.

(٣) رواه مسلم رقم الحديث (٢٣٠٢) ورواه الحاكم وابن ماجه.

٤ ـ المتصدقون:

عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبه بن عامر يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **« كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس»** أو قال: **« يحكم بين الناس»** قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئه يوم إلا تصدق به بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا[١].

٥ ـ المفرجون عن المكروبين، والمكثرون من الصلاة على النبي ﷺ:

والمكثرون من الصلاة على النبي ﷺ روى الديلمي عن أنس مرفوعاً: **« ثلاثة تحت ظل العرش يوم القيامة: من فرج عن مكروب من أمتي وأحيا سنتي وأكثر الصلاة علي»** شرح الزرقاني على الموطأ.

٦ ـ واصل الرحم ـ والمرأة تحبس نفسها على تربية أولادها ـ وطاعم اليتيم:

عن أنس رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: واصل الرحم يزيد اللّه في رزقه ويمد له في أجله، وامرأة مات زوجها وترك لها أيتاماً صغاراً فقالت: لا أتزوج أقيم على أيتامي حتى يموتوا أو يغيثهم اللّه، وعبد صنع طعاماً فأضاف ضيفه وأحسن نفقته وأدنى عليه اليتيم والمسكين فأطعمهم لوجه اللّه عزّ وجلّ»[٢].

٧ ـ المراقب لربه الذي يعلم أن اللّه معه حيث يتوجه:

عن أبي أمامة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:

« ثلاثة في ظل اللّه عزّ وجلّ يوم لا ظل إلا ظله: رجل حيث توجه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٤٧).

(٢) رواه الديلمي وأبو الشيخ والأصبهاني ـ الديلمي في الفردوس كما في الفتح.

علم أن اللَّه تعالى معه، ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية اللَّه، ورجل أحب لجلال اللَّه»[١].

٨ ـ الذين لا يبخسون الحق لهم أو عليهم:

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال: **«أتدرون من السابق إلى ظل اللَّه يوم القيامة؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: الذين إذا أُعطوا الحق قبلوه وإذا سُئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»**[٢].

٩ ـ أهل الخلق الحسن:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«أوصى اللَّه إلى إبراهيم عليه السلام: يا خليلي حَسِّن خُلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار وإن كلمتي سبقت لمن حسَّن خلقه أن أظلله تحت العرش، وأن أسقيه من حظيرة قدسي وأن أدنيه من جواري»[٣].

١٠ ـ أهل الوضوء على المكاره والمشي إلى المساجد:

عن جابر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«ثلاث من كن فيه أظله اللَّه تحت ظله: الوضوء على المكاره، والمشي إلى المساجد في الظلم، وإطعام الجائع». قال في الفتح: رواه أبو الشيخ في الثواب، والأصبهاني في الترغيب.

١١ ـ حملة القرآن الكريم:

عن علي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته،

---

(١) رواه الطبراني. صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٤٥٣٦).

(٣) رواه الطبراني: ترغيب المنذري.

وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل اللّه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»[١] .

١٢ ـ المؤذِّنون:

المؤذِّن الذي كان يرفع صوته بالنداء للصلاة في الدنيا يظهر فضله يوم القيامة وعند الحشر.. إذ يجعل اللّه سبحانه للمؤذنين أعناقاً أطول من أعناق أهل المحشر جميعاً.

عن معاوية رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **« المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»**[٢] .

قصر ذلك اليوم على المؤمنين وخفته:

ما ذكرت عن أحوال المؤمنين الذين يظلهم اللّه سبحانه بظله يوم لا ظل إلا ظله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

يقول تعالى:

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ * تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ١ ـ ٤]

إن هذا اليوم على طوله يخفف على المؤمنين السابقين المذكورين آنفاً والذين يكونون في ظل اللّه سبحانه يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي سعيد رضي اللّه عنه قال: قيل: يا رسول اللّه، يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول اللّه ﷺ:

---

(١) انظر شرح الزرقاني على الموطأ والفتح الكبير وعزاه أيضاً إلى الشيرازي ومسند الفردوس ورواه ابن النجار.

(٢) رواه مسلم برقم ٣٨٧.

«والذي نفسي بيده إنه يخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يوم القيامة على المؤمنين كمقدار ما بين الظهر والعصر»(٢).

. . . وعند أبي يعلى برجال الصحيح: **«فيهون أو فيكون ذلك للمؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب»**.

. . . وعند الطبراني من حديث ابن عمر: **«ويكون ذلك اليوم أقصرَ على المؤمن من ساعة من نهار»**.

تعليق وتنبيه:

. . . للسائل أن يسأل كيف تمضي خمسون ألف سنة على المؤمنين في هذا الوقت القصير كوقت صلاة الفرض أو ساعة من نهار أو ما بين أن تدنو الشمس من المغيب إلى أن تغيب. . أي تقريباً ساعة من نهار الدنيا؟؟

والجواب عن هذا السؤال. . . إن الآخرة لها قوانين تحكمها غير قوانين الدنيا، ومع ذلك ضرب اللَّه سبحانه لنا مثلاً عن أهل الكهف الذين أنامهم اللَّه (٣٠٩) سنوات ثم بعثهم فسأل بعضهم بعضاً قالوا كم لبثتم قالوا: يوماً أو بعض يوم.

. . . وكذلك المثل الذي ضربه اللَّه سبحانه لنا في سورة البقرة عن العزير الذي أماته اللَّه سبحانه مائة عام ثم بعثه قال: كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم. . . فأين ذهبت الأعوام حتى أصبحت نصف يوم وهذا في الدنيا أما في الآخرة فيختلف القانون كما قلت. . فإن اللَّه سبحانه قد

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١١٧٧٧)، وابن حبان في صحيحه برقم (٧٣٣٣).

(٢) رواه الحاكم والبيهقي صحيح الجامع (٦/ ٣٦٦).

يلقي على عباده المؤمنين سُهاداً (بما يشبه النوم) يستغرق هذا الزمن كله دون أن يدركوه أو يحسوا به والعلم عند اللَّه سبحانه. . أليس اللَّه بقادر على كل شيء؟. . أليس اللَّه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون؟. . . . أين آلاف المليارات من السنين التي انقضت من عمر الكون ولم نكن قد خلقنا، هل أدركناها أو أحسسنا بها، ذلك أننا كنا بعالم اللاإحساس، وكذلك وبقدرة اللَّه سبحانه نحول إلى عالم اللاوجود بما يشبه السهو أو النوم من اللَّه سبحانه، فيمضي هذا الزمان الطويل وكأنه لحظات. . وهنا تكمن عظمة اللَّه سبحانه وإلا ما معنى أنه الإلٰه القادر المقتدر العليم الخبير القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السماوات ولا في الأرض؟

واللَّه سبحانه يقول:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

. . . فما أخبر عنه الصادق المصدوق هو الحق. . . كل هذا ويجب أن نعلم أن اللَّه سبحانه لم يجعل عباده المؤمنين الموحدين الصابرين الذين عبدوه في الدنيا حق عبادته، وأطاعوا أمره واجتنبوا نواهيه في ظل العرش يوم القيامة إلا من أجل أن لا يحسوا ويشعروا ويدركوا ويشاهدوا أهوال هذا اليوم وهذا الموقف العظيم. . فلقد مضى زمن امتحانهم ونجحوا. . فلا عذاب لهم بعد الموت وليس لهم إلا رضى اللَّه وجناته وما ينتظرهم من النعيم فيها، لذلك يُقَصَّرُ عليهم هذا اليوم والحمد للَّه على مَنِّه وكرمه ورحمته بالمؤمنين.

يقول تعالى:

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٦٠]

ثانياً

أحوال العصاة وأهل الكبائر في الموقف

هؤلاء ليس لهم ظل يتظللون ويتفيؤون به يوم القيامة، فكيف يظلهم اللَّه سبحانه وهم عصاة وجاؤوا ربهم بالكبائر؟ وإلا ما معنى ما قدَّمنا من صفات المؤمنين الذين يظلهم اللَّه سبحانه في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهنا تظهر كرامة المؤمنين الذين يظلهم، الصادقين الذين أحسنوا فأحسن اللَّه إليهم.. أما هؤلاء العصاة وأهل الكبائر والذين ماتوا على غير توبة ماتوا مصرين على معاصيهم وفواحشهم.. هؤلاء يقفون في الموقف مع أهل الموقف من الكفار والمشركين ولكن ليسوا مثلهم فلكل مقامه ومكانه من أرض المحشر فهم يبقون من أهل التوحيد الذين لم ينكروا شهادة أن لا إله إلا اللَّه ولكن لم يعملوا بمقتضاها من الأعمال الصالحة.

ولقد قلنا فيما سبق: إن كل إنسان يأتي أرض المحشر، معه ملكان ملك يسوقه إلى أرض المحشر وإلى المكان المخصص له وملك يشهد عليه.

قال تعالى:

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢١]

. . . فإذا استقر الناس على أرض المحشر تدنو منهم شمس عظيمة فتكون على رؤوسهم قدر ميل، فيعرقون ويتألمون ويتعذبون عذاباً عظيماً.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

« تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم قدر ميل، يقول ابن عامر الراوي عن المقداد: فما أدري أهو الميل مسافة الأرض أم الذي يُكتحل به؟ **فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار بيده إلى فيه»**[(١)] .

إذاً هناك درجات ومواقع وأمكنة تخص كل أنواع الأعمال في أرض الموقف، وهنا تظهر لنا قدرة اللَّه سبحانه، إذ يجمع هذه المليارات، ويعلم اللَّه موقع كل إنسان من أرض المحشر لذلك يوصله إليه الملك الموكل به وعندما تدنو الشمس تصيب كل واحد حسب موقعه فأرض المحشر لا يعلم مداها إلا اللَّه سبحانه، واللَّه أعلم بزوايا ميل الشمس كما في الأرض هناك أماكن تزيد فيها الحرارة إلى ما فوق ٦٠ درجة مئوية وأماكن إلى ما تحت ٦٠ درجة مئوية ونحن نعيش على أرض واحدة، فيوضع عصاة المؤمنين وأهل الكبائر منهم حسب ارتكابهم لهذه الذنوب والفواحش لذلك قال رسول اللَّه ﷺ:

« فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٤).

فصاحب الكبيرة الواحدة غير صاحب الكبيرتين، وصاحب الكبيرتين غير صاحب العشرة كبائر، وصاحب العشرة كبائر غير الكافر والمشرك الذي يغطه العرق غطًّا حتى يصل إلى فيه.

ولكن يبقى السؤال هل العصاة من أهل التوحيد يعيشون العذاب إلى مدى خمسين ألف سنة، وإن كان العرق يغطهم إلى أكعابهم وركبهم؟... والجواب أن اللّه سبحانه أعلم بهم وأعلم بمعاصيهم وفواحشهم وتركهم لفرائض اللَّه سبحانه، فمن مات على غير صلاة وهو جاحد لها فهو كافر.. لقول رسول اللّه ﷺ:

«بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

[رواه مسلم وأحمد والترمذي]

... ما نعرفه أن اللّه سبحانه أعلم بهم وبأدق مما نتخيل أو نتصور وربما يكون لكل واحد منهم أو مجموعة من اللّه سبحانه أمر وشأن.

يقول تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

ولكن رسول اللّه ﷺ ضرب لنا أمثلة عن حال بعض فئات أهل الكبائر والعصاة الذين ارتكبوا الآثام والفواحش، وإن كانوا مسلمين وكيف يكون حالهم.

١ ـ المتكبرون:

المتكبرون يحشرون يوم القيامة كالذر تطؤهم الخلائق بالأقدام لهوانهم وحقارتهم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**المتكبرون يوم القيامة كالذر تطؤهم الخلائق بالأقدام**»[1].

وأولئك هم الذين يستكبرون على اللَّه سبحانه وعلى عباده ويتطاولون عليهم استكباراً وغروراً وظلماً وهم يتجاهلون أنهم وإياهم سواء عند اللَّه سبحانه.

٢ ـ آكلو الربا:

هؤلاء يحشرون كالمجانين بسبب أكلهم الربا.

يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥]

وهذه حالتهم في المحشر، وقد توعدهم اللَّه سبحانه بأشد العذاب يوم القيامة، فقد وجّه اللَّه سبحانه إليهم حرباً منه ومن رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩]

. . . فما مصير من قال اللَّه سبحانه فيه هذا القول؟

٣ ـ الذين يسألون الناس من غير حاجة:

هؤلاء يحشرون يوم القيامة وليس في وجوههم مزعة من لحم، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

« لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة من لحم »(١).

٤ ـ مانعو الزكاة الذين لا يؤدون حق اللَّه في أموالهم وحق الناس عليهم:

يقول تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

لقد توعَّد اللَّه بالعذاب الشديد مانعي الزكاة، وبحشرهم يوم القيامة يحملون على رقابهم ما منعوا زكاته من أموال وأنعام ويلقون عذاب الهون.. وهكذا فإن اللَّه سبحانه اختص بعض الذنوب وتركَ بعض الفرائض مثل الزكاة بعذاب عظيم.. علينا أخذ الحيطة والحذر... ذلك أن الزكاة فيها حق للآخرين، وإقامة لمجتمع مسلم متكامل فإذا منعت ضعف المجتمع وتألم كثير من الناس حرماناً وجوعاً وبذلك خانوا ما استخلفهم اللَّه سبحانه فيه من الأموال وجعله أمانة بين أيديهم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليه في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجبينه وظهره حتى يحكم اللَّه عزّ وجلّ بين

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ مسلم كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس رقم الحديث (١٠٤).

عباده، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«من كانت له إبل، لا يعطي حقها في مجدبها، ورسلها، يعني في عسرها ويسرها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذى ما كانت وأسمنه، وأكثره، وأنشره، حتى يبطح لها، بقاع قرقر، فتطؤه بأخفافها، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، ويرى سبيله، وإذا كانت له بقر، لا يعطي حقها في مجدبها ورسلها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذى ما كانت، وأسمنه وأكثره وأنشره، ثم يبطح لها بقاع قرقر كل ذات ظلف بظلفها، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، ليس فيها عقصاء، ولا عضباء، إذا جاوزت أخراها أعيدت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، فيرى سبيله، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في مجدبها ورسلها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذى ما كانت، وأسمنه، وأنشره، حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله»(٢).

ولقد روى البخاري ومسلم نحوه وسنقدمه في فقرة أخرى إن شاء اللَّه.

٥ ـ الذين يحملون أوزار ظلمهم وغلولهم:

يقول تعالى:

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣١]

---

(١) رواه مسلم برقم ٩٨٧ وأحمد برقم (٢/ ٢٦٢).

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (١٦٦٠) في الزكاة باب حقوق المال.

ويقول تعالى:

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ٦١]

عن أبي حُميد الساعدي رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

« **واللّه لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقيَ اللّه تعالى يحمله يوم القيامة إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تعير** » . ثم رفع يديه حتى رُئِيَ بياض إبطيه فقال: « **اللهم هل بلغت** »[١] .

٦ ـ الذين لا يعدلون بين زوجاتهم:

لقد نبّه اللّه سبحانه في كتابه الكريم إلى وجوب العدل بين الزوجات إذا اختار الإنسان لنفسه أن يتزوّج ثانياً وثالثاً ورابعاً، ومن يأت يوم القيامة ولم يعدل بين زوجاته وكان ظالماً في تعامله مع بعضهن جاء يوم القيامة على صورة رجل مشلول.

روى أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل** »[٢] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ مسلم كتاب الإمارة باب تحريم المال رقم (٢٦/ ٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١١٤١) وأبو داود برقم ٢١٣١.

ثالثاً

أحوال الكفار والمشركين والمنافقين في الموقف

أول حال هؤلاء الثلاثة أنهم ومنذ أول الحشر يحشرون إلى أرض الموقف عمياً وبكماً وصماً. . يمشون على وجوههم بقدرة اللَّه سبحانه.

قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾.

[سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٦]

وقال تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٢]

وقال سبحانه:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

وقال أيضاً:

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١٠٢]

فالآيات الكريمة تشير إلى أن الكافرين والمجرمين والمشركين والمنافقين يحشرون سود الوجوه على هيئة منكرة عمي العيون خرس الألسنة لا يسمعون يمشون مقلوبين على وجوههم.

ولما سئل الرسول ﷺ عن حشر الكافرين في أرض المحشر على وجوههم كيف يمشون غليها؟ أجاب ﷺ إن الذي أمشاهم على أقدامهم لقادر على أن يمشيهم على وجوههم.

ومن الآيات الكريمة نتبيّن أن كل أنواع الذل والمهانة والعذاب والآلام واقعة في الكافرين والمنافقين.. وهؤلاء هم الذين يغطهم العرق فيلجمهم حتى يبلغ آذانهم وأفواههم، والشمس من فوقهم قدر ميل واحد، تغلي أدمغتهم وأجسادهم فيسيح من أجسادهم عرق يتصبب صباً لا يتوقف عنهم العذاب ولا يُفتَّر بل هم فيه مبلسون.

... فتصور أن نفساً وجسداً ـ بلا بصر ولا سمع ولا لسان، وهو مقلوب على وجهه يمشي عليه لا يدري أين هو ولا يدري ما يحدث، لا يستطيع السؤال ليستطلع الخبر ولا يستطيع أن يسمع إذا تكلم أحدهم، وكذلك لا يعلم لماذا هو مقلوب على رأسه يقفز عليه ويمشي.. فلم يقض اللّه عليه بالموت (فلا موت) وذلك حتى يبقيهُ الإحساس بالآلام يقظاً ومنتبهاً، ليذوق الكافر والمجرم أشد أنواع الذل والألم والحسرة، نعم لقد ذهب زمن امتحانهم، والآن جاؤوا بشهادة الرسوب وعدم النجاح.

هؤلاء الذين يعيشون حقيقة الموقف وطوله الممتد إلى خمسين

ألف سنة بكل صوره وأشكاله وهوانه وعذابه، لا يرجون خلاصاً ولا أمل لهم في نجاة، ولا يؤذن لهم فيتكلمون، فأي عذاب هذا؟ وأي ذل هذا؟ ومن يستطيع أن يتحمل طول هذا اليوم الفظيع وعذابه المرير؟ وكيف هي نفوسهم وأعماقهم وحالهم في هذا الموقف؟ كم يتقطعون ندماً وحسرة؟

كم يمقتون أنفسهم؟ ويلومونها على ما فعلوه؟ كم هم أعداء بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً؟ وكم يلعنون شياطينهم؟ وعندما يؤذن لهم بالكلام في بعض المواقف، يقولون أول ما يقولون كما أخبر عنهم تعالى:

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

وإن كل ما ذكرته عن عذاب العصاة وأهل الكبائر وهم في أرض المحشر ينال الكفار مثله بل وأشد بكثير لأنهم يحملون أثقالاً مع أثقالهم... يحملون أثقال الكفر وأثقال الذنوب مثل الجبال.. لأن الكفر يورث الأعمال المَشينة المغضبة للَّه سبحانه من شرب الخمر ـ والزنى ـ والربا ـ واللواط، لأن الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر لا يردعهم شيء أبداً عن فعل المنكرات كلها فمن أي شيء يخافون؟.. فلا القانون الأرضي يمنعهم، حيث لا يعاقب القانون الوضعي في مكان معيشتهم على فعل المنكرات، وكذلك لا يمنعهم الخوف من اللَّه سبحانه من اجتراح الآثام والمقحمات.

... كذلك حرموا في الدنيا من نعمة العبادة والذكر

والتسبيح للَّه سبحانه فكانت الحيوانات والجمادات التي تسبح للَّه سبحانه أفضل منهم.

قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

فقد كانوا عمياً وبكماً وصماً عن آيات اللَّه في الدنيا فيحشرهم اللَّه يوم القيامة جزاء وفاقاً لهم عمياً وبكماً وصماً.

... في الدنيا ننظر إلى هؤلاء، فنجدهم أقوياء معافين متمتعين بأكثرَ مما يتمتع به المؤمنون.. فنعجب من عطاء اللَّه سبحانه لهم، وهم قائمون على كفرهم ومعاصيهم وفحشهم، بل يزدادون فيها كل يوم ولأنهم لا ينالهم عقاب في الدنيا يتمادون بهذا الغي والكفر ظناً منهم أنهم على الحق، وأن غيرهم من المؤمنين على باطل، فيُزيّن لهم عملهم ويسخرون من المؤمنين، ويغرّهم ما مدّهم به اللَّه من مال وبنين وحالة من الرخاء والتمتع الزائل، يقول تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٢]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾.

[سورة المطففين، الآيات: ٢٩ ـ ٣٢]

ويقول تعالى منبهاً إلى أن ما فيه الكفار من نعيم إنما هو إملاء

وإمهال من اللَّه لهم ليزدادوا فيه إثماً، وحتى لا يكون لهم حظ في الآخرة من النعيم ورضا اللَّه وجناته.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٧٨]

وكذلك قال تعالى:

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٧]

لذلك يكون حسابهم عسيراً يوم القيامة، فقد نالوا نعيمهم وجنتهم في الدنيا، وتمتعوا بكل ما حرَّمه اللَّه من خمر ولحم خنزير وزنى وميسر وربا وكل فاحشة مبينة.

وهذه الحال التي هم عليها لا ينفكون عنها حتى يأذن اللَّه سبحانه بفصل الحساب والعرض عليه، أي بعد قيام رسول اللَّه ﷺ قيامه المحمود بالشفاعة واللَّه سبحانه لا يلتفت إليهم ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم..

فإذا أذن اللَّه سبحانه لرسول اللَّه ﷺ بالشفاعة العظمى بدأ فصل الحساب.. ولكن يبقى السؤال هل موقف الحساب والعرض على اللَّه سبحانه أهون من الموقف في أرض المحشر على الكافرين أم هو أذل وأدهى وأَمَرُّ؟؟ هذا ما سنعرفه عندما نتعرض لهذا الأمر في الجزء السابع من الموسوعة.

الفصل الثالث

- حوض رسول اللّهﷺ وأحواض الأنبياء.
- الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في صفات الحوض.
- لكل نبي حوض.
- من شرب من حوض رسول اللّهﷺ في الموقف لم يظمأ بعدها أبداً.
- صد رسول اللّهﷺ بعض الناس عن حوضه في أرض المحشر.
- الذين يمنعون عن حوض رسول اللّهﷺ.
- موقع الحوض الشريف.

حوض رسول الله ﷺ وأحواض الأنبياء

مدخل:

إن أمر الحوض يوم القيامة أمر عظيم، إذ تكون الخلائق بأمس الحاجة إلى الماء لما يصيبهم من عطش شديد يقطّع حناجرهم ويشقق شفاههم ويحرق أفواههم وأجوافهم.

... كلنا في الدنيا أصابه العطش يوماً ما.. بل قل أذاقه اللّه العطش وأذاقه الإحساس به، فشعر بجفاف حلقه وحريق فمه وتشقق شفتيه.. وإن لم يحصل هذا فقد حصل في شهر رمضان المبارك وخاصة إذا كان الصيام في أيام الصيف الحار.

... فإن أهم ما يعانيه الناس في أرض المحشر وعلى طول يوم القيامة انعدام الماء، والعطش، وحريق أجوافهم، وجفاف أفواههم.

ولكن من رحمة اللّه سبحانه بالمؤمنين، فهو أعلم بحاجتهم إلى الماء في هذا اليوم العظيم أن جعل لكل نبي حوضاً يَسقي منه المؤمنين الصادقين الذين اتبعوه في الحياة الدنيا وكانوا مع نبيهم مؤمنين.

وأعظم الأحواض سعةً حوضُ رسول اللّه ﷺ، بل هو أكثرهم واردة لكثرة المؤمنين المسلمين الموحدين الذين آمنوا باللّه رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وأقروا بالشهادتين وعملوا صالحاً قياساً على المؤمنين من الأقوام الأخرى.

.. من رحمة اللَّه بالمؤمنين أن يسقيهم من الأحواض التي جهزها لأنبيائهم.

... وعقاباً للكافرين على كفرهم أن يحرمهم اللَّه سبحانه من هذا الماء ومن الورود إلى تلك الأحواض.. وكذلك يفعل اللَّه سبحانه بالعصاة وأهل الكبائر على ما ارتكبوه في حق اللَّه سبحانه من ظلم وعدم طاعة وعبادة وإصرار على الموبقات.

ولقد أعطى اللَّه سبحانه من عظيم رحمته لرسول اللَّه ﷺ نهر الكوثر، قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

[سورة الكوثر، الآيات: ١ ـ ٣]

قال الإمام أحمد: حدّثنا محمد بن فضيل، عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول اللَّه ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مُتبَسِّماً، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت يا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أنزلت علي آنفاً سورة**» فقرأ: بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

ثم قال: «**هل تدرون ما الكوثر**»؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**نهر أعطانيه ربي عزّ وجلّ في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته كعدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» هذا ثلاثي الإسناد(١).

(١) رواه الشيخان والإمام أحمد (٣/ ١٠٢).

ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، من حديث ابن فضيل، ورواه أحمد أيضاً عن عبد الصمد، عن هشام، عن قتادة، وعن عبد الوهاب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، وعن عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، فسئل رسول اللَّه ﷺ عن عرضه، فقال: «**من مقامي إلى عمان**»، وقال عبد الرزاق: «**ما بين بصرى وصنعاء، وإما ما بين أيلة ومكة**»، أو قال: «**من مقامي هذا إلى عمان**»، وسئل عن شرابه، فقال: «**أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، ينبعث فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من وَرِق**»[1].

قال أبو داود الطيالسي: حدّثنا أبو عوانة، حدّثنا عطاء بن السائب، قال: قال لي محارب بن دثار: ما كان سعيد بن جبير يقول في الكوثر؟ قلت: كان سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس، قال: هو الخير الكثير، فقال محارب: أنى يقع رأي ابن عباس؟ قال محارب: حدّثنا عبد اللَّه بن عمر، قال: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال رسول اللَّه ﷺ: «**هو نَهَر في الجنة حافتاه من ذهب، يجري على الدر، والياقوت، تربته أطيب ريحاً من المسك، وطعمه أحلى من العسل، وماؤه أشد بياضاً من الثلج**»[2]. رواه البيهقي من حديث ابن زيد عن عطاء بن السائب، وقال الترمذي: حسن صحيح.

الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في صفات الحوض:

قال أحمد: حدّثنا حسين بن محمد، حدّثنا ابن عياش، عن محمد بن المهاجر، عن العباس بن سالم اللخمي، قال: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحَبَشي، فحمل إليه على البريد،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٨١) ـ الورق: الفضة.

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٣٦١) والبيهقي في البعث والنشور (١٢٩).

ليسأله عن الحوض، فقدم إليه، فسأله فقال: سمعت ثوبان يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن حوضي من عدن إلى عَمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكاويبه عدد النجوم، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين**»، فقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: من هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**هم الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السُّدد**»، قال عمر: لكني نكحت المتنعمات ونكحت فاطمة بنت عبد الملك، واللَّه لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ(١).

عن جابر بن سمرة، عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**إني فرطكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيله كأن الأباريق فيه نجوم**»(٢).

حدّثنا أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه يقول: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**أنا على الحوض أنظر من يرد عليَّ، قال: فيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب: مني، ومن أمتي، فيقال: وما يدريك ما عملوا بعدك؟ ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم**».

قال جابر: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الحوض مسيرة شهر، وزواياه سواء يعني عرضه مثل طوله ـ وكيزانه مثل نجوم السماء، وهو أطيب ريحاً من**

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٠): رواه الطبراني، وفي رواية عنده: (وأكثر الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين) (وأكثر من يرده)، ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح، ورواه الترمذي (٢٤٤٤) في صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض، وابن ماجه (٤٣٠٣) في الزهد، باب: ذكر الحوض.

(٢) رواه مسلم رقم الحديث ٢٣٠٥.

المسك، وأشد بياضاً من اللبن، من شرب منه لم يظمأ أبداً»(١) . . .

لكل نبي حوض:

عن سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: « **إن لكل نبي حوضاً، يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة**»(٢) .

يُبعد أقوام من أمة محمد عن حوض رسول اللَّه ﷺ:

عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **إني فرطكم على الحوض، من يمر عليَّ يشرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**» .

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: « **فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي**»(٣) .

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« **إني آخذ بحجزكم أقول: إياكم وجهنم، إياكم والحدود، إياكم وجهنم، إياكم والحدود، ثلاث مرات، إذا أنا متُّ تركتكم، وأنا فرطكم على الحوض، فمن ورد أفلح، ويؤتى بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أحسبه قال: فيقال: ما زالوا بعدك يرتدون على أعقابهم**»(٤) .

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٤).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٤٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٣) في الرقاق، باب: في الحوض.

(٤) رواه البزار في كشف الأستار (٣٤٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٤): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط بنحوه، (بحجزكم): جمع حجزة، وهي معقد الإزار.

طول وعرض حوض رسول اللَّه ﷺ

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«حوضي مسيرة شهر، وزواياه كذا سواء، وأكوابه عدد نجوم السماء، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، من شرب منه شَربة لم يظمأ بعدها أبداً»(١).

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن لي حوضاً في الجنة، مسيرته شهر، وزواياه سواء، ريحه أطيب من المسك، ماؤه كالورِق، أقداحه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً»(٢).

عن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(٣).

عن قتيبة، عن الليث، من حديث يحيى بن أيوب، عن

---

(١) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٦.
(٢) رواه البخاري رقم الحديث ٦٥٧٩ ومسلم برقم الحديث ٢٢٩٢.
(٣) رواه البخاري رقم الحديث ٢٥٧٦.

يزيد بن أبي حبيب رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيله إلى الجحفة، وإني لست أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا، كما هلك من كان قبلكم**»، قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول اللَّه ﷺ على المنبر[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٩٦) في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته. أيله: مدينة في طرف الشام على ساحل البحر.

من شرب من حوض رسول الله ﷺ في الموقف لم يظمأ بعدها أبداً

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة»(١).

عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، ما آنية الحوض؟ قال: **«والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»**(٢).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال:

«بينا أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار واللَّه، قلت: وما شأنهم؟ قال: ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٠١) ابن أبي عاصم ٧٢٣.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٣٠٠ في الفضائل باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

النار واللَّه، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم »[١].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي »[٢].

(١) رواه البخاري رقم الحديث (٦٥٨٧) في الرقاق باب: في الحوض.
(٢) رواه البخاري رقم الحديث ٦٥٨٨.

صدُّ رسول اللَّه ﷺ بعض الناس عن حوضه في أرض المحشر

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن، هو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من النجوم، وإني لأصد الرجل من بين الناس عن حوضي**»، قالوا: يا رسول اللَّه، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «**نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون علي غرًّا محجلين من أثر الوضوء**»[(١)].

قال البخاري: وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي، حدّثنا أبي عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب رضي اللَّه عنه عن أبي هريرة: أنه كان يحدث أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»[(٢)].

عن أبي عبيدة رضي اللَّه عنه قال: «**سألتُ عائشة أم المؤمنين عن الكوثر، فقالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ في الجنة، حافتاه در مجوف، عليه من الآنية عدد النجوم**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم رقم الحديث (٢٤٧).

(٢) رواه البخاري رقم ٦٥٨٥.

(٣) رواه البخاري (٤٦٩٥) في التفسير، باب: سورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾، وروواه البيهقي في البعث والنشور (١٢٤).

عن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه بن أبي مليكة؛ أنه سمع عائشة رضي اللَّه عنها تقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه:

«إني على الحوض أنتظر من يرد عليَّ منكم، فواللَّه لينقطعن دوني رجال، فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم»(١).

وما ذكرت جزء من أحاديث رسول اللَّه ﷺ التي ذكر فيها الحوض وفي هذا دليل على أنه ﷺ كان كثيراً ما يحدث أصحابه رضي اللَّه عنهم عن الحوض وأوصافه، ولذلك جاءت أحاديث الحوض عن جم غفير من الصحابة في قياسات متعددة ومن ثم ذكره علماء التوحيد في جملة العقائد الإيمانية.

وهكذا نجد أن أحاديث الحوض بلغت التواتر فهي بلا شك يسند بعضها بعضاً وهي صحيحة فيجب الإيمان بالحوض إيماناً مطلقاً لا شك فيه أبداً.

وأما عن اختلاف المسافات وتعدد الروايات نقول:

واختلاف هذه المسافات التي ضربها رسول اللَّه ﷺ أمثلة لعرض حوضه الشريف، هذا الاختلاف جاء لإعلام المخاطبين بسعة الحوض فإن منهم من يعرف ما بين أيلة وصنعاء ومنهم من يعرف مسافات أخرى غير تلك، فضرب رسول اللَّه ﷺ أمثلة لسعة الحوض كما جاء في بقية روايات أحاديث الحوض، والقليل من هذه المسافات داخل تحت الكثير، والكثير باق على ظاهره كما قال الإمام النووي: وليس في القليل من هذه منع الكثير والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة واللَّه أعلم.

قال القاضي عياض رحمه اللَّه تعالى: وهذا الاختلاف في قدر

---

(١) رواه مسلم (٢٢٩٤) في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

عرض الحوض ليس موجباً للاضطراب أي في أحاديث الحوض فإنه ـ أي الاختلاف ـ لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواية عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضرب لها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة فبهذا تجمع الروايات.

الذين يمنعون عن حوض رسول اللّه ﷺ:

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أنِ هؤلاء الذين يُمْنَعُونَ عن حوض النبي ﷺ هم المنافقون الذين أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، وكذلك المرتدون الذين أسلموا أولاً ثم كفروا وماتوا وهم كفار.

قال العلماء: فيجوز أن يحشر هؤلاء بالغرة والتحجيل باعتبار أن المنافقين كانوا مسلمين بالظاهر، ومصلين بالظاهر، وكذا المرتدون، فإنهم كانوا مسلمين في أول أمرهم ومصلين، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم (إن هؤلاء بدلوا بعدك)، أما المنافقون فإنهم لم يموتوا على ما ظهر من إسلام، وأما المرتدون فإنهم بدلوا حيث كفروا بعد إيمانهم. وهذا الحديث لا يتنافى مع الحديث الدال على عرض أعمال الأمة على النبي ﷺ، كما في قوله ﷺ: «**تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت اللّه، وما رأيت غير ذلك استغفرت لكم**». الطبقات لابن سعد.

فالذي يعرض عليه ﷺ هو أعمال أمته المؤمنين به حقاً ليستغفر ويدعو اللّه لهم، وأما الكفار من أمته ـ ومنهم المنافقون والمرتدون ـ فإن أعمالهم لا تعرض هذا العرض على النبي ﷺ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يستغفر لهم، ويدعو لهم، فلا فائدة في عرض أعمالهم على النبي ﷺ.

قال أهل المعرفة: والحكمة في ذوده ﷺ بقية الأمم عن حوضه هو

إرشاد كل واحد من سائر الأمم إلى حوض نبيه، فيكون هذا من إنصافه، ﷺ، ورعايته إخوانه النبيين، وتكريمه لهم، لا أن يطردهم عن حوضه فإنه ﷺ أجود بني آدم وأكرم خلق اللّٰه تعالى أجمعين ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن سمرة بن جندب رضي اللّٰه عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**».

وقال الإمام الغزالي: «**أي وهو أكثرية أتباعه الواردين على حوضه الشريف**»(١).

الحوض رحمة من اللّٰه سبحانه لرسوله محمد ﷺ وبأمته وهو من جملة الفضائل والخصال التي أكرم بها رسول اللّٰه ﷺ أمته.

ـ حدّثنا ابن هُبيرة أنه سمع أبا تميم الجيشاني، يقول: أخبرني سعيد، أنه سمع حذيفة يقول: غاب عنا رسول اللّٰه ﷺ يوماً، فلم يخرج، حتى ظننا أنه لن يخرج، فلما خرج سجد سجدة، فظننا أن نفسه قد قبضت فيها، فلما رفع رأسه قال: «**إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي، ماذا أفعل بهم؟ فقلت له كذلك، فقال: لن أخزيك في أمتك يا محمد، وبشرني أن أول من يدخل من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً، ليس عليهم حساب، ثم أرسل إلي، فقال: ادع تجب وسل تعط، فقلت لرسوله: أو معطي سؤالي؟ فقال: ما أرسلني إليك إلا ليعطيك، ولقد أعطاني ربي عزّ وجلّ ولا فخر، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطاني ألا تجوع أمتي، ولا تغلب، وأعطاني الكوثر، وهو نهر في الجنة، يسيل في حوضي، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتي شهراً، وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة، وطيبت لي ولأمتي الغنيمة، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا من حرج**».

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٩٣).

موقع الحوض الشريف:

إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده؟ فالجواب أن ظاهر ما تقدَّم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يذاد عنه أقوام، يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم، ومذ فارقهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين فبعيد حجبهم عن الحوض، لا سيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال رسول اللَّه ﷺ:

«**أعرفكم غُرًّا محجلين من آثار الوضوء**» ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجياً مسلَّماً، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، فالأصح ـ واللَّه أعلم ـ أن الحوض قبل الصراط.

قال العلامة الزَبِيدي في شرح الإحياء: فصل في محل الحوض **وقال القرطبي في التذكرة**: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح أن النبي ﷺ له حوضان أحدهما: في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثراً.

قال الزبيدي وتعقبه الحافظ في الفتح: بأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثراً لكونه يمد منه.

خلاصة ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف وهم عطاش، فيرد المؤمنون الحوض ويتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال لهم: ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. . . وأرى أن أصح الأقوال أن الحوض قبل الصراط واللَّه أعلم.

الفصل الرابع

الشفاعة العظمى والمقام المحمود

- أحاديث الشفاعة أهمها وأوثقها.
- الحديث الأول
- الحديث الثاني
- الحديث الثالث
- الحديث الرابع
- تنبيه وتعليق مهمان حول أحاديث الشفاعة.
- لماذا رسول الله ﷺ صاحب الشفاعة العظمى دون غيره من الأنبياء؟؟
- تصوير المحاسبي ليوم القيامة وأهواله.

الشفاعة العظمى والمقام المحمود

من أعظم الأمور أهمية يوم القيامة (الشفاعة) من حيث شدة حاجة الناس إليها فتكون عندهم الرجاء والأمل في الخلاص من كثير من مراحل يوم القيامة والتي فيها شديد عذاب اللّه سبحانه. . .

وأعظم هذه المواقف وأشدها على الناس عذاباً وألماً وطولاً وإرهاقاً الوقوف في أرض المحشر، حيث يغط الناس بعرقهم النتن إلى شحوم آذانهم ووسط أفواههم وهم يصرخون من العذاب والآلام لعل أحداً يسمعهم فينقذهم مما هم فيه من الكرب والهموم.

. . . وكل هذا يحدث واللّه سبحانه لا ينظر إلى أحد من المغضوب عليهم ولا يأذن بشفاعة، فإنه اليوم الذي غضب فيه غضباً شديداً على أولئك الكفرة الفجرة، فيبطش بهم بطشة كبرى وينتقم منهم انتقاماً عظيماً، وكان أوله هذا الموقف الذليل المهين الذي تتقطع فيه النفوس من الألم، وتكاد تميز من الحسرة والندم.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٦]

وهذا هو اليوم الذي يكون من بدايته إلى نهايته يوماً عسيراً وشاقاً على كل من أتى اللّه سبحانه منافقاً وكافراً ومشركاً وعاصياً مصراً على معصيته.

. . . كم يحتاج الناس في هذا اليوم للشفاعة؟ وكم يعظم أمرها؟ ولكن من يجرؤ على طلبها والرسل تقول في هذا الموقف: إن اللَّه قد غضب اليوم غضباً شديداً لم يغضب مثله أبداً. . من يجرؤ على طلب الشفاعة واللَّه لا يعطيها إلا لمن أذن له. . . ولكن لمن يأذن اللَّه سبحانه وهو أول موطن للشفاعة؟

. . . ولقد ذكر اللَّه سبحانه الشفاعة في كتابه الكريم وبيّن أن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الرحمن. . ورضي له قولاً. وقال صواباً. . وحتى لو كان من أقرب المقربين إليه، إن لم يأذن اللَّه سبحانه له، فلا شفاعة له حتى لو كان ملكاً من ملائكة السماء أو نبياً من الأنبياء، أو صديقاً أو شهيداً أو عالماً، وهذا يدل على عظيم أمر الشفاعة عند اللَّه سبحانه، وأنها لن تكون إلا لمن رضي اللَّه عنه وأذن له ورضي له قولاً وشفاعة.

يقول تعالى:

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾.

[سورة النجم، الآية: ٢٦]

ويقول تعالى:

﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٨٧]

ويقول تعالى:

﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ۞ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾.

[سورة طه، الآيتان: ١٠٨، ١٠٩]

ويقول تعالى:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

... هذه بعض الآيات عن الشفاعة التي ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه الكريم التي تبيّن أن الشفاعة لا تكون لأحد إلا لمن يأذن له اللَّه سبحانه. وهو أعلم بخلقه جميعاً وبمن يستحقها، فالميزان عند اللَّه سبحانه في الشفاعة (التقوى).

... ويقول اللَّه سبحانه على لسان الذين نسوا اللَّه وكتابه ماذا يقولون يوم القيامة وفي هذا الموقف العصيب.

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٥٢، ٥٣]

لقد خسر أولئك الأمل في الشفاعة، أو الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً كما جاءت به الرسل ولكن هيهات لا رجوع ولا شفاعة لهم... بل زيادة في ذلهم يوم القيامة فإن اللَّه سبحانه يناديهم أن ينادوا شركاءهم وشفعاءهم.. أي الذين عبدوهم

واتخذوهم أولياء من دون اللّه سبحانه فليشفعوا لهم عند اللّه سبحانه .

يقول تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٥٣]

ويقول تعالى :

﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ .

[سورة القصص، الآية: ٦٤]

. . . من الآيات الكريمة نتبيّن أن الناس في موقفهم يوم القيامة يستغيثون مما هم فيه وعندما لا يجدون مناصاً لهم من العذاب . . يبحثون بين الخلائق من هم من أصحاب المنازل العالية عند ربهم كأبينا آدم والأنبياء عليهم السلام ليشفعوا لهم بتخليصهم من هذا العذاب . . . قلنا : إن يوم القيامة على طوله المديد مواقف ـ فما يكون العبد فيه في موقف من صفات قد تتغير وتتبدل . . . فالكافرون والمشركون يحشرون إلى أرض المحشر كما قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

. . . ولكن هل هم على طول اليوم الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة عمياً وبكماً وصماً؟ لا . . . ولكن هناك تبدلات كثيرة تطرأ على أرض المحشر فهم يحشرون عمياً وبكماً وصماً وعلى وجوههم . . ولكن تتغير حالهم على طول الموقف، فيرون ويسمعون ويتكلمون

ليشاهدوا عذاب اللَّه سبحانه في هذا الموقف، وليسمعوا كلام الملائكة أو يجادل بعضهم بعضاً، أو يلعن بعضهم بعضاً، فتشتعل الحسرة والألم عندما لا يسمع لهم على طول هذا الموقف. . . وفي نهاية الأمر ربما يكونون في حالة رؤية وسماع وكلام، وينزاح عنهم العرق قليلاً فيلجؤون كجماعات يستغيثون بآدم والأنبياء، كل هؤلاء تكون لهم شفاعة عند ربهم لعلو مكانتهم وعظيم شرفهم كأنبياء اختصهم اللَّه سبحانه دون الخلق أجمعين. ورسول اللَّه ﷺ يبيّن لنا في أحاديثه الشريفة كيف يكون أمر الشفاعة وأمر هؤلاء الذين يستغيثون بآدم وبالأنبياء، ثم تكون الشفاعة له ﷺ بعد أن يأذن اللَّه سبحانه بها ولا يقبلها من أحد غيره، وقد تعددت أحاديث الشفاعة نورد أهمها وأوثقها:

أحاديث الشفاعة أهمها وأوثقها

الحديث الأول:

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: أتي رسول اللّه ﷺ بلحم، فدفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال:

« أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع اللّه الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الهمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون» .

فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا تنظرون من يشفع لنا إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك اللّه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول الرسل إلى الأرض، وسمّاك اللّه عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي اللّه وخليله من أهل

الأرض، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول اللَّه، اصطفاك اللَّه برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول اللَّه، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، قال: هكذا هو وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لن يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول اللَّه وخاتم النبيين، غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عزّ وجلّ، ثم يفتح اللَّه عليَّ ويلهمني من محامده، وحُسْن الثناء عليه، ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، وكما بين مكة وبصرى»[١].

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢) في التفسير، باب: (ذرية من حملنا مع نوح)، ومسلم (١٩٤)=

الحديث الثاني:

عن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

« يُطوّل على الناس يومُ القيامة، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا عزَّ وجلّ فليقض بيننا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنتَ الذي خلقك اللَّه بيده، وأسكنك جنته، فاشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنّي لست هناكم، ولكن ائتُوا نُوحاً رأسَ النبيين.

فيأتونه، فيقولون: يا نوح، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنّي لَسْت هُناكُم، ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ اللَّه عزّ وجلّ.

قال: فيأتونه، فيقولون: يا إبراهيم، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إنّي لست هناكم، ولكن ائتوا موسى الذي اصطفاه اللَّه عزّ وجلّ برسالاته، وبكلامه.

قال: فيأتونه، فيقولون: يا موسى اشفع لنا إلى ربك عزّ وجلّ فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، ولكن ائتوا عيسى رُوحَ اللَّه وكَلِمَته، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى اشفع لنا إلى ربّك فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ فإنه خَاتَمُ النبيين وإنه قد حضر اليوم، وهو قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر، ويقول عيسى: أرأيتم لو كان متاع في وعَاء وقد خُتِمَ عليه، هل كان يُقدر على ذلك الوعاء حتى يُفَضَّ الخاتَم؟ فيقولون: لا، قال: فإن محمَّداً ﷺ خاتم النبيين.

قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: فيأتونني، فيقولون: يا محمد، اشفع لنا

= في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، وأحمد رقم (٢/ ٤٢٥). نهس: أخذ بأطراف أسنانه. صعيد: هو الأرض الواسعة المستوية. ينفذهم البصر: يبلغهم ويجاوزهم. شركاء الناس: يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب. إن لما بين المصراعين: المصراعان: جانبا الباب. هجر: مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين.

إلى رَبّك، فلْيَقْض بيننا، قال: فأقول: نعم، فآتي باب الجنة، فآخذ بحَلقة الباب، فأستفتح، فيقال: من أنتَ؟ فأقول: محمد، فيفتح لي، فأخر ساجداً، فأحمد ربي عزّ وجلّ بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي، ولا يحمده بها أحد كان بعدي، فيقول: ارفع رأسك، وقُلْ يُسمَع منك، وسل تُعطَهْ، واشفع تُشفع، فأقول: أي رب أمتي، فيقال: أخرج مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمان فأخرجُهم، ثم أخِرُّ ساجداً فذكر مثل ذلك، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال بُرة من كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من إيمان، قال: فأخرجهم»[1].

الحديث الثالث:

عن أبي نضرة المنذر بن مالك رضي اللّه عنه قال: خطبنا ابن عباس رضي اللّه عنهما على منبر البصرة، فقال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر.

قال: ويطول يوم القيامة على الناس، حتى يقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبينا فليشفع لنا إلى ربنا عزّ وجلّ فليقض بيننا، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: يا آدم، أنت الذي خلقك اللّه بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، اشفع لنا إلى ربنا فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، وإني قد أخرجت من الجنة بخطيئتي، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، ولكن ائتوا نوحاً رأس النبيين».

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٦) في التوحيد، باب: ما جاء في قوله عزّ وجلّ: **﴿وكلم اللّه موسى تكليماً﴾**، ومسلم في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها. رواه أحمد (٣/ ٢٤٧)، (لست هناكم) أي لست أهلاً لذلك.

فذكر الحديث، كنحو ما تقدم إلى أن قال: «**فيأتونني، فيقولون: يا محمد، اشفع لنا إلى ربك، فليقض بيننا، فأقول أنا لها، حتى يأذن اللّه لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد اللّه تبارك وتعالى أن يفصل بين خلقه، نادى مناد أين أحمد وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، آخر الأمم، وأول من يحاسب . . .**»[١].

وذكر تمام الحديث في الشفاعة، في عصاة هذه الأمة.

الحديث الرابع:

عن أنس رضي اللّه عنه قال: حدّثني نبي اللّه ﷺ قال:

«**إني لقائم أنتظر أمتي تعبر على الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد، يسألونك، أو قال يجتمعون إليك، يدعون اللّه عزّ وجلّ أن يفرّق جمع الأمم إلى حيث يشاء اللّه، لغمّ ما هم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو كالزكمة وأما الكافر فيتغشاه الموت، قال: قال لعيسى: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي اللّه ﷺ حتى قام تحت العرش. فلقي ما لم يلق ملك مصطفى، ولا نبي مرسل، فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى جبريل: اذهب إلى محمد، وقل له: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع.**

قال: فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، فما زلت أتردد على ربي عزّ وجلّ، فلا أقوم مقاماً إلا شفعت، حتى أعطاني اللّه عزّ وجلّ من ذلك أن قال: يا محمد، أدخل من أمتك من خلق اللّه عزَّ وجلّ من شهد أنه: لا إله إلا اللّه يوماً واحداً مخلصاً، ومات على ذلك».

[رواه أحمد برقم ٣٢٦٣/ ٢٣]

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٣): رواه أبو يعلى وأحمد ورجاله رجال الصحيح.

المقام المحمود

المقام المحمود الذي يناله رسول اللّه ﷺ يوم القيامة هو (الشفاعة العظمى) وقد بيَّنت الأحاديث الشريفة الأربعة السابقة مكانة رسول اللّه ﷺ، وأن أحداً لم يرض اللّه سبحانه به شفيعاً للأمم في أن يبدأ اللّه سبحانه فصل الحساب إلا رسول اللّه ﷺ وهذا هو المقصود من الآية الكريمة: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٧٩]

وكذلك بيّن رسول اللّه ﷺ أن الشفاعة العظمى التي يؤذن بها لمحمد ﷺ هي المقام المحمود الذي وعده به ربه يوم القيامة: عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما، أن رسول اللّه ﷺ قال:

« من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة»(١) .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا وكيع، حدّثنا داود المعافري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ .

قال: (الشفاعة)(٢) .

---

(١) رواه البخاري (٦١٤) في الأذان، باب: الدعاء عند النداء، ورواه مسلم وغيره. (النداء): الأذان. (الوسيلة): المنزلة العالية. (الفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق. (حلَّت) وجبت واستحقت أو نزلت عليه.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٤٤) وإسناده حسن.

وثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث جابر وغيره، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلّت لي الغنائم، ولم تحلّ لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأعطيت الشفاعة ـ يعني بذلك الشفاعة التي تطلب من آدم ـ **وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس كافة»**[١].

فقوله: **(وأعطيت الشفاعة)** يعني بذلك الشفاعة التي تطلب من آدم، فيقول: لست بصاحب ذاكم، اذهبوا إلى نوح، فيقول نوح كذلك ويرشدهم إلى إبراهيم، فيرشدهم إلى موسى، ويرشدهم موسى إلى عيسى، فيرشدهم عيسى إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين، فيقول: **(أنا لها، أنا لها)**.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»[٢].

ولمسلم أيضاً، عن أُبيّ بن كعب رضي اللَّه عنه، في حديث قراءة القرآن على سبعة أحرف، قال رسول اللَّه ﷺ:

«فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ فيه الخلقُ كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»[٣].

---

(١) رواه البخاري في الصلاة، باب: قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، ومسلم (٥٢١) في المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٨) في الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

(٣) رواه مسلم (٨٢٠) في صلاة المسافرين وقصرها.

عن الطُّفيل بن أُبيّ بن كعب رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ:

« إذا كان يَوْمُ القيامة كنتُ إمام الأنبياء وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غَيْرَ فَخْر »(١).

عن كعب بن مالك رضي اللَّه عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال:

« يُبْعَثُ الناسُ يَومَ القيامة فأكون أنا وأمّتي على تلّ ويعطيني ربي عزّ وجلّ حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء اللَّه أن أقول ثم يقال: خذ فإن لك المقام المحمود »(٢).

عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« أنا أول من يُؤْذَنُ له بالسجود يوم القيامة؛ وأنا أول من يُؤْذَنُ له أن يرفع رأسه، فأنظر بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم؛ ومن خلفي مثل ذلك؛ وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك »، فقال رجل: يا رسول اللَّه؛ كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: **« هم غر محجلون من أثر الوضوء؛ ليس أحد كذلك غيرهم؛ وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذراريهم »**(٣).

هذه هي الشفاعة العظمى والمقام المحمود لرسول اللَّه ﷺ، وهذه الشفاعة هي الأولى، ولرسول اللَّه ﷺ شفاعات كثيرة في أمته في العصاة وأهل الكبائر ومن كان في قلبه ذرة من الإيمان، بعد أن ينال هؤلاء حسابهم وجزاءَهم وعقابهم من اللَّه سبحانه ويأتي الحديث

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٣٧)، والترمذي (٣٦١٣) في المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، وابن ماجه (٤٣١٤) في الزهد، باب: ذكر الشفاعة.

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٥٦).

(٣) رواه الإمام أحمد برقم (٥/ ١٩٩) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق..

عن هذا عندما نتكلم في الجزء الثامن من الموسوعة عن (أنواع الشفاعات).

تنبيه وتعليق مهمان حول أحاديث الشفاعة:

لقد أورد إسماعيل بن كثير الشافعي في كتابه أهوال يوم القيامة تعليقاً حول موضوع أحاديث الشفاعة.. ذلك أن الناس عندما يأتون إلى آدم ليشفع لهم بالإذن ببدء فصل الحساب والعرض على اللّه سبحانه وتخليصهم من الموقف العظيم يدلهم على نوح عليه السلام وهذا بدوره يدلهم على غيره من الأنبياء حتى يصلوا إلى صاحب المقام المحمود رسول اللّه ﷺ. فيقول: أنا لها، أنا لها، فإذا جاء ربه أذن له في الشفاعة. الأحاديث بطولها تعود إليها، فإذا قال له ربه: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع، فيقول عندئذٍ رسول اللّه ﷺ يا رب أمتي وعَجل بالفصل بين الخلائق.

فالتعليق أنه جاء ليشفع للأمم كلها بفصل الحساب فكيف يسأل ربه عن أمته فقط وأين شفاعته بباقي الأمم؟ لهذا الإشكال نسمع رأي علمائنا الأفاضل ثم نعلِّق على هذا الموضوع.

يقول الإمام إسماعيل بن كثير الشافعي:

قد ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق، والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث في أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في أن يأتي الرب لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور، كما تقدم، وهو المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فَمن بعده من الأنبياء، في أن يفصل بين الناس، ويستريحوا من مقامهم ذلك كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه،

فإذا وصلوا إلى الشفاعة إنما يتذكرون الشفاعة في عصاة الأمة، وإخراجهم من النار.

وكان مقصود السلف من الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة؛ الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها؛ يذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث؛ وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور كما تقدم أن الناس يذهبون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، ثم يأتون رسول اللَّه ﷺ فيذهب فيسجد للَّه تحت العرش، في مكان يقال له الفحص، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: ما شأنك؟ وهو أعلم، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة فشفِّعني في خلقك، فاقض بينهم، فيقول: شفَّعتك، أنا آتيك فأقضي بينكم، فأرجع، فأقف مع الناس، ثم ذكر انشقاق السموات وتنزل الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرب تعالى لفصل القضاء، والكروبيون والملائكة المقربون يسبحونه بأنواع التسبيح؛ قال: فيضع كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يقول: إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع أقوالكم، وأرى أعمالكم، فأنصتوا إليَّ، فإنما هي أعمالكم وصُحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

[رواه الحاكم في المستدرك، وروى نحوه الطبراني في المعجم الكبير]

يقول تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢١٠]

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين؛ زين العابدين، قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة مدَّ اللَّه الأرض مدَّ الأديم، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه»، قال رسول اللَّه ﷺ: **«فأكون أول من يدعى، وجبريل عن يمين الرحمن عزّ وجلّ، واللَّه ما رآه قبلها، فأقول: أي رب، إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليَّ؛ فيقول اللَّه: صدق، ثم أشفع، فأقول: يا رب، عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال: فهو المقام المحمود»**[(١)]، هذا مرسل من هذا الوجه وعندي أن معنى قوله: عبادك عبدوك في أطراف الأرض، أي وقوف في أطراف الأرض أي الناس مجتمعون في صعيد واحد، مؤمنهم وكافرهم، فيشفع عبد اللَّه أي محمد ﷺ ليأتي لفصل القضاء بين عباده، ويميّز مؤمنهم من كافرهم في الموقف، ويفرّق المصير في الحال والمآل، ولهذا قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾: هو المقام الذي يقومه رسول اللَّه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

وقال البخاري: حدّثنا إسماعيل بن أبان، حدّثنا أبو الأحوص، عن آدم بن علي، سمعت ابن عمر قال: **«إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان، اشفع، يا فلان، اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه اللَّه مقاماً محموداً»**[(٢)].

ورواه حمزة بن عبد اللَّه، عن أبيه، عن النبي ﷺ:

وقد أسند عن عبد اللَّه بن أبي جعفر: سمعت حمزة بن عبد

---

(١) ورواه الحاكم (٤/ ٥٧٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٨) في التفسير، باب: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾**.

اللَّه بن عمر، سمعت عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ** ».

زاد عبد اللَّه بن يوسف: حدّثني الليث، عن ابن أبي جعفر:

« **فيشفع ليقضى بين الخلق؛ فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب؛ فيومئذٍ يبعثه اللَّه مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم**»[١].

ابن جرير، عن وكذا رواه محمد بن عبد اللَّه بن الحكم، عن شعيب بن الليث عن أبيه، نحوه[٢] كتاب أهوال القيامة لابن كثير الشافعي.

وقال شارح الطحاوية بعد إيراده لبعض أحاديث الشفاعة التي سقناها: (والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، كما ورد في حديث الصور، فإنه المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار، وكأن مقصودهم السلف ـ في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث ـ هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث

(١) رواه البخاري (١٤٧٤) في الزكاة، باب: من سأل الناس تكثراً.
(٢) رواه البخاري رقم الحديث ١٤٧٥.

الذي فيه النص الصريح من الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث).

ثم ساق مضمون حديث الصور.

وقال ابن حجر العسقلاني نقلاً عن الدراوردي فإنه قال:

«كأن راوي هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله، وذلك أن في أول ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط، وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج»[(١)]. قال ابن حجر بعد نقله كلام الدراوردي: (وهو إشكال قوي)[(٢)].

ولعل ما ذهب إليه **القاضي عياض وتابعة النووي وابن حجر وغيرهما** عليه أكثر دقة وتوفيقاً مما قاله شارح الطحاوية، قال ابن حجر: (وقد أجاب عن هذا الإشكال عياض وتبعه النووي وغيره بأنه قد وقع في حديث حذيفة المقرون بحديث أبي هريرة بعد قوله: (فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له) أي في الشفاعة، وترسل الأمانة والرحم، فيقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق) الحديث، قال عياض: فبهذا يتصل الكلام، لأن الشفاعة التي لجأ إليه الناس فيها هي الإراحة من كرب الموقف، ثم تجيء الشفاعة في الإخراج، وقد وقع في حديث أبي هريرة... الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم يميّز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٣٧).
(٢) فتح الباري (١١/ ٤٣٧).

هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف، قال: وبهذا تجتمع متون الأحاديث، وتترتب معانيها. فتح الباري ٤٣٨، وقد زاد الحافظ ابن حجر هذه المسألة إيضاحاً، وأورد النصوص الدالة على أن في بعض الأحاديث شيئاً من الاختصار فقال: قلت: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، وستأتي بقيته في شرح حديث الباب الذي يليه وفيه: (**حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي جانبي الصراط كلاليب مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار**) فظهر منه أنه ﷺ أول ما يشفع ليقضى بين الخلق، وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك.

وقد وقع ذلك صريحاً في حديث ابن عمر اختصر في سياقه الحديث الذي ساقه أنس وأبو هريرة مطولاً. وقد تقدم في كتاب الزكاة عن طريق حمزة بن عبد اللّه بن عمر عن أبيه بلفظ: إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذٍ يبعثه اللّه مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم. ووقع في حديث أُبيّ بن كعب عند أبي يعلى: «**ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط وهو منصوب بين ظهراني جهنم فيمرون**».

ـ وفي حديث ابن عباس من رواية عبد اللّه بن الحارث عنه عند أحمد: (**فيقول عزّ وجلّ: يا محمد ما تريد أن أصنع في أمتك؟ فأقول: يا رب عجِّل حسابهم**)، وفي رواية عن ابن عباس عند أحمد وأبي يعلى: (**فأقول أنا لها، حتى يأذن اللّه لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد اللّه أن يفرغ من خلقه نادى مناد: أين محمد وأمته**).

لماذا رسول الله ﷺ صاحب الشفاعة العظمى دون غيره من الأنبياء؟؟

قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» فيه إعلان بمقام سيادته، وإعلام لجميع الأنام بسؤدده العام، وذلك من باب تحدثه بنعم ربه وتكريمه إياه، لا من باب المفاخرة؛ قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾، ولذلك كان ﷺ يقول: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر**». وإنما خصّ ذكر يوم القيامة لذلك مع أنه ﷺ له السيادة على ولد آدم كلهم في الدنيا والآخرة، ولكنه إنما ذكر ذلك في الآخرة لأن الناس كلهم يومئذ يقرّون بسيادته، ويعترفون بفضله؛ الأبرار والفجار، السعداء والأشقياء، وأما في الدنيا فلا يقرّ بذلك إلا من آمن باللَّه ورسوله ﷺ حقاً. ومن المعلوم أن سيد القوم هو كريم القوم وشريفهم الذي يهتم بشأنهم، ويسعى لما فيه صلاح أمرهم، يفزعون إليه في المهمات، ويقصدونه في النائبات، ويرجون خيره وبره في الشدائد والضائقات.

ولذا أعلن ﷺ بمقام سيادته ليقصدوه في أشد الحالات والكربات، ألا وهي كربات الموقف وأهواله ومضايقه، وبيّن ﷺ أنه لا ينقذهم من أهوال ذلك الموقف وشدائده إلا سيدهم ﷺ وحينذاك كلهم يرون مقام سيادته، ويقرّون له بذلك.

قال الإمام النووي رضي اللَّه عنه في شرح مسلم: والحكمة في أن اللَّه تعالى ألهمهم (أي ألهم أهل الموقف) سؤال آدم ومن بعده من الرسل صلوات اللَّه تعالى عليهم في الابتداء (أي ليشفعوا بهم) ولم يلهموا سؤال نبيِّنا محمد ﷺ، والحكمة في ذلك هي ـ واللَّه أعلم ـ إظهار فضيلة نبيِّنا محمد ﷺ، فإنهم (أهل الموقف) لو سألوه الشفاعة ابتداء لكان يحتمل أن غيره من الرسل يقدر على هذا ويحصله، وأما

إذا سألوا غيره من رسل اللّٰه تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة، وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس، قال: وفيه تفضيله ﷺ على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة، فإن هذا الأمر العظيم ـ وهي الشفاعة العظمى ـ لا يقدر على الإقدام عليه غيره ﷺ وعليهم أجمعين. واللّٰه أعلم. اهـ.

وإنما لم يقدر أحد من الرسل أن يتقدم للشفاعة العظمى لأن التجلي وقتئذٍ بالغضب الشديد، ولذا قال كل رسول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولذلك لم يستطع أن يتقدم للشفاعة إلا أحب حبيب إلى اللّٰه تعالى، وأقرب مقرب، ألا وهو السيد الأكرم ﷺ.

وحتى لا يقع الإنسان في سؤال الشك حول ذكر بعض أخطاء أو ذنوب الأنبياء المذكورة في حديث الشفاعة فنقول: هل يخطئ أو يذنب الأنبياء وهم معصومون من اللّٰه سبحانه؟؟

لقد أجاب العلماء المتقدمون عما أضيف إلى الأنبياء من نسبة الذنوب، بعد أن دلّ الكتاب والسنّة دلالة قطعية على عصمتهم من المخالفات والمحرمات؛ وكل من العلماء المتقدمين ـ نفعنا اللّٰه بهم ـ أجاب بجواب فيه بيان نزاهة الأنبياء، وبيان كمالهم وشرفهم وبراءتهم من الفواحش والقبائح، ولولا خشية الإطالة وباعتبار أن هذا البحث ليس موضع تفصيله هنا، لذكرنا تلك الأقوال مفصلة، ولكن نذكر الآن قولاً منها مشهوراً بين العلماء والعرفاء قريب التناول، مذكوراً في كتب علماء السلف، ومبيّناً في كتب علماء الخلف. وهو أن الذنوب المضافة للأنبياء صلوات اللّٰه عليهم الوارد ذكرها في الآيات

والأحاديث، هي ليست كذنوب غيرهم أصلاً، بل ذلك من باب القاعدة المقررة المشهورة بين جميع طبقات العلماء والعرفاء، سلفاً وخلفاً: حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومباحات العوام سيئات الأبرار.

فما ورد من إضافة الذنب إلى الأنبياء في آية أو حديث فهو يعد ذنباً بالنسبة لمقامهم العالي، وبالنسبة لمنزلة قربهم الخاص بهم، وإن ذلك بالنسبة لغيرهم لا يعد ذنباً أصلاً بل يعتبر حسنة.

واللّه أعلم وأحكم، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

تصوير المحاسبي ليوم القيامة وأهواله

بعد أن اطلعت على تصوير المحاسبي رحمه اللّه ليوم القيامة وأهواله فأعجبني هذا التصوير الرائع فأحببت أن أزين به هذا الجزء من الموسوعة.

يقول الحارث المحاسبي رحمه اللّه واصفاً ما يقع في ذلك اليوم من أهوال:

حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حسّ يسمع ولا شخص يُرى، وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على اللّه عزّ وجلّ بالذل والصغار منك ومنهم. فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك، وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى، فطار فؤادك، وشاب رأسك للنداء، صيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء ـ فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض على رأسك، فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائم على قدميك، شاخص ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبّرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم. فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم، فتوهم نفسك بعريك ومذلتك

وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة صُموتٌ أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدّة المنادي، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة، قد نزع المُلْك من ملوك الأرض ولزمتهم الذلة والصغار، فهم أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدراً بعد عتوّهم وتجبرهم على عباد اللَّه عزّ وجلّ في أرضه.

ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها لذلّ يوم القيامة بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بليّة نابتها ولا خطيئة أصابتها، فتوهم إقبالها بذلّها في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور.

وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على اللَّه سبحانه. فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض قد أذلهم البعث وجمع بينهم النشور. حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامّها، واستووا جميعاً في إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها. فبينما أنت والخلائق على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم،

فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك، ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هَوْل صوت انشقاقها في سمعك، ثم تمزقت حتى إذا انقطعت أعناقهم من العطش، واحترقت أجوافهم من الجوع انصرف بهم إلى النار، فسقوا من عين آنية قد آن حرها، واشتد نفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلّم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه أن يشفع لهم في الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار من وقوفهم، ففزعوا إلى آدم ونوح ومن بعده إبراهيم، وموسى وعيسى من بعد إبراهيم، كلهم يقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، فكلهم يذكر شدة غضب ربه عزّ وجلّ وينادي بالشغل بنفسه فيقول: نفسي نفسي، فيشتغل بنفسه عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلاصها، وكذلك يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ .

[سورة النحل، الآية: ١١١]

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه، ينادي نفسي نفسي، فلا تسمع إلا قول: نفسي نفسي. فيا هول ذلك، أنت تنادي معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه، فما ظنك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم، والخليل إبراهيم، والكليم موسى، والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على اللّه ـ عزّ وجلّ ـ وعظم قدر منازلهم عند اللّه عزّ وجلّ، كل ينادي: نفسي نفسي، شفقاً من شدة غضب ربه، فأين أنت منهم في إشفاقك في ذلك اليوم واشتغالك بذلك اليوم، وبحزنك وبخوفك؟ حتى إذا أيس الخلائق

من شفاعتهم أتوا النبي محمداً ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم إليها، ثم قام إلى ربه عزّ وجلّ واستأذن عليه فأذن له، ثم خرَّ لربه ساجداً، ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق، حتى أجابه ربه عزّ وجلّ إلى تعجيل عرضهم والنظر في أمورهم[١].

(١) كتاب التوهم والأهوال: ص٥.

الخاتمة

الحمد للَّه الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة المتفضل علينا بنعمة الإيمان والإسلام، ومن حمده أرجو أن أكون قد قدمت عملاً مفيداً يرضى عنه اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ في هذا الجزء الذي تكلم عن بداية يوم القيامة وأرض المحشر والحوض والشفاعة العظمى. لقد كان للحديث في هذا الجزء شأن خاص لأن الحديث عن أرض المحشر وما يلاقيه المشركون والكافرون والعصاة وأهل الكبائر من الأهوال والشدائد لجدير بالتوقف عنده كثيراً والتفكر فيه كثيراً. . .

لأن القلم مهما حاول أن يبيِّن ويفسّر ويحلّل ويناقش فإنه يبقى عاجزاً عن وصف يوم يمتد إلى خمسين ألف سنة على الكافرين والمشركين والعصاة لأن الأحداث فيه متلاحقة ومتواصلة وكثيرة وكبيرة وهائلة ومفزعة ومخيفة وشديدة لتنوع ما يحدث، وموقف هؤلاء الكفرة، وحالهم وما يتعرضون له من الشدائد المتصلة، واستغاثتهم الدائمة حيث لا مجيب ولا مغيث ولا شفيع. . . فوصف حالة هؤلاء وآلامهم وصراخهم وحيرتهم في كل حين يحتاج إلى مجلدات.

. . . ولكن من أين لنا العلم بذلك؟ ومن أين لنا تفصيلات كل قول واستغاثة وتصوير حالة الآلام الشديدة؟. . . وكيف لنا بوصف حالة كل أمة وأهل كل معتقد وتفاوتهم في موقف المهانة والذل؟

ومن أين لنا أن نصف حالة كل مجموعة أو حالة كل فرد

والدخول في أعماقه لنستعلم ما يعانيه وما يكابده وما يفكر فيه.

وحجم الحسرة والألم والندم التي تعتصر كل فرد من أهل الموقف على أرض المحشر.

وعلى أرض المحشر لا ليل ولا نهار لنصف حالة الناس في كل يوم كما نصفها في الدنيا بل هو زمن مستمر لا توقف فيه والذي يقدره هو اللَّه سبحانه وهو أعلم بحسابه وكيف يكون خمسين ألفاً من سني الدنيا..

وعندما ينتهي بعلم اللَّه سبحانه الوقوف بأرض المحشر تعطى الشفاعة لمن أراد اللَّه ورضي اللَّه به شفيعاً كي يأذن سبحانه ببدء الحساب والعرض، وقد تبيّن لنا أن هذا المقام المحمود المقام العظيم لا يكون إلا لمحمّد رسول اللَّه ﷺ إظهار لمقام ومكانة سيد الخلق محمد ﷺ إمام الأمم والخلائق جميعاً، وأرجو اللَّه سبحانه أن أكون قد قدمت عملاً صحيحاً مستمداً العون من اللَّه سبحانه وكتابه الكريم وأحاديث رسول اللَّه ﷺ، واللَّه ورسوله ﷺ خير عون للكتاب وما فيه من عمل، فأرجو اللَّه سبحانه أن يسمح عني فيما أخطأت فيه وأن يأجرني فيما أصبت فيه وأن يشملني برحمته وعفوه وكرمه كما أرجو أن يأجر كل من ساهم معي في هذه الموسوعة. نشراً وطباعة وتدقيقاً وتقديماً ومراجعة.

فاللَّه سبحانه من وراء العمل والفعل والهدف والقصد توكلنا عليه فهو نعم المولى ونعم الوكيل، وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

الباحث

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللَّه تعالى.

١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.

٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.

٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.

٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.

٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.

٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.

٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.

٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.

٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.

٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.

٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.

٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.

٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.

٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.

٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.

٣٦ ـ البعث والنشور.

٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ - الحساب والعرض على اللَّه سبحانه.

٣٩ - الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ - النار أهوالها وعذابها.

٤١ - جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن الترِّمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجه.
٨ ـ سنن النَّسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف ـ مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الإهداء ١٣
المقدمة ١٥

الفصل الأول

مدخل ٢١
هل أرض الدنيا هي أرض المحشر يوم القيامة؟؟ ٢٤
صفة أرض المحشر واتساعها ٣٠
صفات أهل المحشر وأجناسهم ٣٥
هل تحشر الملائكة على أرض المحشر؟ ٣٥
هل تحشر الوحوش (أي الأنعام والطير والسبع)؟ ٣٥
هل تحشر الجن؟ ٣٦
كيف يحشر الناس على أرض المحشر؟ ٣٧
كيف يحشر الناس يوم القيامة على أرض المحشر ٤١
حشر الخلائق على أرض المحشر دون نقصان أحد من الخلق ٤٧
بداية يوم القيامة وبداية أحداثه وأهواله ٤٩
هل يوم القيامة خمسون ألف سنة كما جاء في الآية الكريمة
وحديث رسول الله ﷺ؟؟ ٥٢

الفصل الثاني

النشأة الأخرى وتغيّر الأجساد في أرض المحشر ٥٩
المرحلة الأولى ٥٩

المرحلة الثانية ٥٩
يوم القيامة أحوال بشرية ومراحل زمنية ٦٤
المرحلة الأولى ٦٤
المرحلة الثانية ٦٥
المرحلة الثالثة ٦٦
المرحلة الرابعة ٦٧
المرحلة الخامسة ٦٧
المرحلة السادسة ٦٧
المرحلة السابعة ٦٨
المرحلة الثامنة ٦٨
مشاهد وآيات من كتاب اللّٰه تعالى ليوم الموقف العظيم ٧٠
كيف يحشر ويساق المؤمنون والكافرون إلى مواقعهم
في أرض المحشر ٧٢
الشمس التي تدنو من رؤوس العباد قدر ميل في أرض المحشر ٧٦
أحوال المؤمنين والعصاة والكافرين في هذا اليوم العظيم ٨٢
أولاً: أحوال المؤمنين في الموقف ٨٤
ما أحوال المؤمنين في هذا الموقف؟؟ ٨٤
١ ـ السبعة الذين يظلهم اللّٰه يوم لا ظل إلا ظله ٨٥
٢ ـ المتحابون في جلال اللّٰه تعالى ٨٥
٣ ـ من أنظر معسراً ٨٥
٤ ـ المتصدقون ٨٦
٥ ـ المفرجون عن المكروبين، والمكثرون من الصلاة
على النبي ﷺ ٨٦

٦ ـ واصل الرحم ـ والمرأة تحبس نفسها على تربية أولادها
وطاعم اليتيم ٨٦
٧ ـ المراقب لربه الذي يعلم أن اللَّه معه حيث يتوجه ٨٦
٨ ـ الذين لا يبخسون الحق لهم أو عليهم ٨٧
٩ ـ أهل الخلق الحسن ٨٧
١٠ ـ أهل الوضوء على المكاره والمشي إلى المساجد ٨٧
١١ ـ حملة القرآن الكريم ٨٧
١٢ ـ المؤذنون ٨٨
قصر ذلك اليوم على المؤمنين وخفته ٨٨
ثانياً: أحوال العصاة وأهل الكبائر في الموقف ٩١
١ ـ المتكبرون ٩٣
٢ ـ آكلو الربا ٩٤
٣ ـ الذين يسألون الناس من غير حاجة ٩٤
٤ ـ مانعو الزكاة الذين لا يؤدون حق اللَّه في أموالهم
وحق الناس عليهم ٩٥
٥ ـ الذين يحملون أوزار ظلمهم وغلولهم ٩٦
٦ ـ الذين لا يعدلون بين زوجاتهم ٩٧
ثالثاً: أحوال الكفار والمشركين والمنافقين في الموقف ٩٨

الفصل الثالث

حوض رسول اللَّه ﷺ وأحواض الأنبياء ١٠٥
مدخل ١٠٥
الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في صفات الحوض ١٠٧
لكل نبي حوض ١٠٩

طول وعرض حوض رسول الله ﷺ ١١٠
من شرب من حوض رسول الله ﷺ في الموقف لم يظمأ بعدها أبداً . ١١٢
صدُّ رسول الله ﷺ بعض الناس عن حوضه في أرض المحشر ١١٤
الذين يمنعون عن حوض رسول الله ﷺ ١١٦
موقع الحوض الشريف ١١٨

الفصل الرابع

الشفاعة العظمى والمقام المحمود ١٢١
أحاديث الشفاعة أهمها وأوثقها ١٢٦
الحديث الأول ١٢٦
الحديث الثاني ١٢٨
الحديث الثالث ١٢٩
الحديث الرابع ١٣٠
المقام المحمود ١٣١
تنبيه وتعليق مهمان حول أحاديث الشفاعة ١٣٤
لماذا رسول الله ﷺ صاحب الشفاعة العظمى
دون غيره من الأنبياء؟؟ ١٤٠
تصوير المحاسبي ليوم القيامة وأهواله ١٤٣
الخاتمة ١٤٧
كتب وأبحاث صدرت للمؤلف ١٤٩
مراجع موسوعة الآخرة ١٥٣
فهرس المحتويات ١٥٦

سلسلة

موسوعة الآخرة

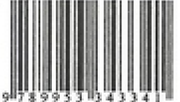
هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعّدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على الله سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر




ISBN 9953-34-334-9
9 789953 343341